إصلاح الأفراد والمجتمعات
فى الإسـلام

فوزى محمد أبو زيد

دار الإيمان والحياة

رقم الإيداع ٣٤٣٠ / ٢٠٠٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـــة

الحمد لله المنعم الجواد، واسع الجود والعطاء والإمـــداد، وكنـــوز فضله وكرمه فـــوق خيال كُمّل العباد والصلاة والسلام علـــى ســـيدنا محمد صاحب الهدى والرشاد، إمام أئمة الإرشاد، ووسيلتنا إلى الله يـــوم التناد، صلى الله عليه وآله الأمجاد، وأصحابه من الفقهاء والزهاد ومـــن تبعهم بخير إلى يوم الميعاد.

وبعد..

فهذه عدة ندوات ومحاضرات دُعينا لإلقائها بعضها فـــى الكليـــات الجامعية، وبعضها فى قصور الثقافة والنوادى الرياضيـــة والجمعيـــات العلمية.

والهدف منها جميعاً تنمية الوعى الدينى لـــدى الشـــباب ، وربـــط الدين بالحياة، ومحاربة الدعاوى العلمانية التـــى تفصـــل بيـــن الديـــن والحياة، والتدليل على أن الدين الإســـلامى وضـــع المنـــاهج الكاملـــة لإصلاح كل ضروب الحياة، بل إنه لم يترك شاردة ولا واردة يحتاجـــها الفرد فى بيته أو فى عمله أو فى مجتمعه، لنفسه أو لزوجـــه أو لأولاده أو لأهل مجتمعه، إلا وبيّنها بياناً شافياً ووضحها توضيحاً دقيقـــاً ســـر قوله سبحانه **﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شئ ﴾**.

ويجمع بين هذه المحاضرات أنها تبين منهج الإسلام فى إصــلاح الفرد، وكذا منهجه فى إصلاح المجتمعات، ذلك المنهج الربانى المـنزّه عن الهوى والأغراض، الشامل لجميع البيئات، الجامع لكـل الأشـفية النفسية والعصبية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية ويشير إلى ذلـك قوله سبحانه : ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنيـن** ﴾ والإسلام يجعل مفتاح إصلاح المجتمعات فى أى جهة من الجهات هـو إصلاح الأفراد وأساس إصلاح الأفراد هو إصلاح القلوب والنفـوس، ولا يكون ذلك إلا بشريعة المليك القدوس.

أسأل الله عز وجل أن يوفق إخواننا المؤمنين أجمعيـن لمـا فيـه صلاح أحوالهم وإصلاح مجتمعاتهم فى الدنيا، وسعادتهم فى يوم الدين.

﴿ **ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنـك أنت الوهاب** ﴾ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مساء الثلاثاء
٦ من شعبان ١٤٢٢هـ
٢٣ من أكتوبر ٢٠٠١م

الراجى عفو ربه
فوزى محمد أبو زيد
الجميزة ــ مركز السنطة ــ غربية
ت: ٥٣٤٠٥١٩ / ٠٤٠

الفصل الأول
منهج النبى فى إصلاح
الأفراد والمجتمعات

- إصلاح القلوب.
- رسالة المرسلين.
- طهارة الجوارح.
- القيم الإلهية.



منهج النبى فى إصلاح الأفراد والمجتمعات(*)

الحمد لله الذى أنعم علينا بهداه وأورث قلوبنا نوره وتقواه ووفقنا فى الدنيا لما يحبه ويرضاه ونسأله عز شأنه أن يثبتنا على ذلك ويزيدنا من ذلك حتى نلقاه.

والصلاة والسلام على حبيب الله ومصطفاه بيت الله المعمور بالله ونور الله الدال بالله على الله وشمس الحق المشرقة على الوجود كله بنور الله سيدنا محمد وآله وصحبه وأتباعه وكل من سار على هداه وعلينا معهم أجمعين بمنّك وفضلك وجودك يا أرحم الراحمين.

إن الله عز وجل بفضله وكرمه جمعنا جميعاً فى بيته لنحى سنة من سنن سيد المرسلين ﷺ فقد كان من هديه صلوات ربى وسلامه عليه أن يجمع أصحابه الفينة بعد الفينة ليزكى نفوسهم ويرقّق قلوبهم ويصحح أحوالهم ويزيدهم علماً بربهم وبكتاب ربهم وبشرعهم صلوات الله وسلامه عليه وكان هديه فى ذلك قول رب العزة عز شأنه **﴿ عظهم وقل لهم فى أنفسهم قولاً بليغاً ﴾** [الآية: ٦٣، النساء] وهذا الكلام يجرنا لسؤال يدور على كل بال ما السبيل إلى إصلاح الأحوال؟ أحوال العباد وأحوال البلاد وأحوال الأفراد وأحوال الأسر وأحوال

(*) كانت هذه الندوة بمسجد قاسم المصرى بمغاغة محافظة المنيا بتاريخ ٣ من جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١/٨/٢٣م.

الناس فى كل حاضر وباد؟ ما هو السبيل للإصلاح؟ السبيل المحق للنجاح الذى جاء به رسول الملك الفتاح ﷺ ولذلك قال ﷺ : **(علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل)** لماذا؟ لأن الله جعل صلاح أمور الدنيا على الأنبياء والمرسلين فإن لم يكونوا موجودين فإن الذى ينوب عنهم فى صلاح أحوال العباد والبلاد هم العلماء العاملين هل العلماء أو الأنبياء سيبنون لنا مصانع أو عمارات أو يستصلحوا أرضاً ويملؤها بالزراعات؟ أو يحضروا لنا دراهم وأموال؟ كل هذه الأشياء أمرها كمثل الطبيب الذى جاءه مريض يشكو من دمّل فى جسمه مملوء بالقيح والصديد فوصف له علاجاً ظاهرياً بأن يضع مرهماً أو يضع لبخة وهل هذا العلاج الظاهرى سينهى الداء؟ لا لكن الطبيب الناجح الذى يقتلع الداء من جسد من به هذا البلاء وهذه يا إخوانى رسالة الأنبياء والأولياء والعلماء والصالحين من بدء الدنيا إلى أن يرث الله عز وجل الأرض ومَنْ عليها ولتوضيح هذا الكلام نقول الإنسان ما الذى يحركه؟ وما الذى يسيره؟ وما الذى يوجهه؟ القلب والجنان فقد قال فى ذلك حبيب الله صلوات ربى وسلامه عليه : **(إن فى الجسد لمضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب ألا وهى القلب ألا وهى القلب)**[1].

---

[1] رواه البخارى ومسلم عن النعمان بن بشير.

إصلاح القلوب

إذاً الذى يريد أن يُصلح المجتمعات لابد أن يُصلح الفرد أولاً لأنه هو الذى يقود كل شئ فى المجتمعات والذى يريد أن يصلح الفرد يبدأ بإصلاح القلب وإصلاح القلب هو الغاية العظمى من بعثة النبيين والمرسلين والعلماء والصالحين إلى يوم الدين فإن أهل الغرب من كثرة الخيرات عندهم يرمونها فى المحيطات يَحْسب تجار الزُّبْد فى فرنسا وهولندا إيجار المخازن التى يستودعون فيها الزبد فيجدون أنهم سيخسرون فيرمونها فى البحر حتى يتحكمون فى السعر وكذا الأقوات وكذا الخيرات كل خيرات الدنيا عجلها الله لهم ﴿ **أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها** ﴾ [الآية: ٢٠، الأحقاف] لا توجد عندهم مشاكل كالتى عندنا فلا توجد بطالة لأن العمل يحتاج إلى عمال كثيرين فيأخذون من عندنا العمال لا توجد أزمة إسكان أو أزمة مواصلات والخيرات متوفرة لكن هناك ضيق فى الصدور وهناك شح وأثرة وأنانية فى القلوب وهناك خصال ذميمة أمر بنحرها والانتهاء منها علام الغيوب عز وجل ولذلك نجد حياتهم كلها نكد فى نكد ولا يظن أحد أن حياتهم فيها سعادة لأن الله قال فيها ﴿ **ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا** ﴾ [الآية: ١٢٤، طه] فمعيشته تكون ضنكاً على الدوام وهم متفوقون فى الحسابات فعندهم أكبر نسبة من المصابين بأمراض نفسية وعصبية وكذلك عندهم أكبر نسبة من حوادث الانتحار

لماذا ؟ مع أن الخير موجود ؟ لكن السخاء والكرم والجود فى القلوب مفقود وهذا الأساس الذى يتحكم فى خيرات الوجود لكن أصحاب حضرة النبى ﷺ كان الخير قليل والخلق والحاجات كثير ماذا فعل؟ ظل يوسع فى الصدور ويداويها بمراهم القرآن وفيتامينات النور إلى أن أصبحت هذه الصدور كما يقول العزيز الغفور عز وجل ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾ [الآية: ٩، الحشر] فلم تعد هناك مشاكل بينهم لأن الوسعة ليست وسعة الأرزاق والأقوات وإنما الوسعة التى ينشدها المصلحون والنبيون وسعة القلوب ووسعة الأخلاق فالنبى ﷺ وغيره من النبيين اختارتهم العناية الإلهية وأعطتهم المراهم الربانية والأنوار الإلهية والأشفية الربانية التى يعالجون بها فى مصحاتهم قلوب إخوانهم وصدور الملتزمين بشرعهم ودينهم.

ما أول حاجة يعملها النبى للأمة؟ لم يكن يعلمهم الصلاة أولاً.. جلس معهم اثنى عشرة عاماً إلى أن فُرضت الصلاة فالصلاة فرضت قبل الهجرة بعام والرسول ﷺ مكث فى مكة ثلاثة عشر عاماً فماذا كان يفعل؟ كان يزكى النفوس وينقى القلوب ويطهر الصدور كل الذى يريد أن يدخل الإسلام يدخله وإذا كان محتاجاً لجرعة قرآنية تطهره يطهره بالقرآن وهذا علاجه ﴿ **وسقاهم ربهم شراباً طهورا** ﴾ [الآية: ٢١، الإنسان] يتلو عليه القرآن ويشرح له معانى القرآن فيطهره الله بالقرآن ومعانى القرآن والذى ما زال عنده المرض شديد يأخذه بالتؤدة

والرحمة واللين إلى أن يعمل له العملية الجراحية النورانية الإلهية التـى يقول فيها رب البرية : ﴿ **ونزعنا ما فى صدورهم من غـل إخوانـاً على سرر متقابلين** ﴾ [الآية: ٤٧، الحجر] فالذى يقابل أخـاه يقابلـه بالسرور والإنشراح والانفتاح والترحـاب وليـس بالضغينـة والحقـد والنفور والاشمئزاز هذه علاجات المصطفى ووظيفة أهل الصفا والوفـا فى كل زمان ومكان فعندما تطهر الصدور تمتلئ بالنور والذى يمتلـئ صدره بالنور يكون بالنسبة للمؤمنين مثل الميت لا يغتـاب أحـداً ولا يحسد أحداً ولا يحقد على أحد ولا نفسه فى حاجة فى يـد أحـد لأنـه تخلص من هذه الأمراض وهذا قال فيه الله : ﴿ **أو مـن كـان ميتـاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس** ﴾ [الآية: ١٢٢، الأنعـام] يمشون بنور الله عز وجل إلى ان يصل بهم الحال إلى أن ذبح أحدهـم شاة وأرسل رأسها لرجل فقير لكن قلبه كبير بالنور الذى فيـه مـن الله عز وجل لم يسترها عن الجيران حتى لا يحسدوه ولم يقل أغلقوا البـاب جيداً حتى لا يحضر إلينا أحد أو يسمع أحد، بل قال لزوجته يا أم فـلان أنا أرى أن أخى فلان هذا أحوج إلى هذه الرأس منّى خذيها وأعطيـها له فأعطوها للثانى الذى كان مثل الأول ليس فى قلوبـهم مـرض ولا غرض ولا عرض وهذا الذى أتعبنا الآن القلوب التى فيها أمراض مثل الأحقاد والأحساد والغل والشح والطمع والحـرص والبخـل والأثـرة والأنانية وما شابه ذلك، وأين نعالج هذه الأمراض؟ وأين الأدوية فـى الصيدليات الظاهرة التى تعالج هذه الأمـور؟ لا يعالجـها إلا النبييـن

والمرسلين ومن بعدهم العلماء العاملين فهؤلاء هم الذيـــن معـــهم هـــذا العلاج أين ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمـــة للمؤمنيـــن** ﴾ [الآية: ٨٢، الإسراء] لم يقل وأنزلنا بل قال نُنزل بالمضارع المســـتمر أى يتنزل باستمرار على قلوب العلماء والصـــالحين مـــا بـــه يشـــفون المرضى من هذه الأدواء وهذه الأمراض التى هى سبب كل بلاء يـنزل فى الأرض أو يهبط على أهلها من السماء فالبلاء إما مـــرض داخلـــى ويحتاج إلى العلماء العاملين وكلنا نرى هذا البلاء عندما يغتاظ أحدنـــا من الآخر والغيظ يكاد يترجم إلى حركات ربما يشتمه وربمـــا يـــزداد المفعول ويتحول إلى ركلات وضربات وربما يزيد أكثر فيتحول إلـــى أعيرة نارية أو غيره فإذا جلس هذا الرجل مع نفر من العلماء العـــاملين ليحدثوه ويرققوه ويواسوه ماذا يحدث يا إخواننا؟ يقوم من بينـــهم وقـــد ارتاح فؤاده وذهب غيظه وشفى داؤه ومرضه لكن نحن الآن كل همنـــا فى مصحات الأجسام وأدوية الأجسام وما يُصلح الأجسام وما يتم بـــه النعيم وكأنه نعيم مقيم للأجسام لكن أين الذى يصلح القلوب؟ وأين الـذى يطهر النفوس؟ وأين الذى يذهب الأحقاد والإحن من الصـــدور؟ هـــذا الدواء الذى يحتاج إلى نور حضرة العزيز الغفور عـــز وجـــل ﴿ **قـــد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فـــى الصـــدور** ﴾ [الآيـــة: ٥٧، يونس] فعندما شفيت الصدور مرت الرأس على سبعة منازل ورجعـــت للمنزل الأول مرة أخرى وكل من تذهب إليه يقول أخى فـــلان أحـــوج منى إليها والثانى كذلك والثالث كذلك ما الذى حل مشكلتهم؟ وما الـــذى

سدّ فاقتهم؟ وسعة صدورهم وشفاؤهم من أمراض الأنانيـــة والأحقـاد والأحساد التى عمت كل بلد وواد حتى وصلت إلى ذوى الأرحام وهـذا يحتاج إلى تنبيه خطير لأن الأمر فيه إنذار من العلى الكبير عز وجـل يقول لنا ﴿ **فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فـى الأرض وتقطعـوا أرحامكم** ﴾ [الآية: ٢٢، محمد] الذى يفعل ذلك ما جزاؤه يارب؟ قـال ﴿ **أولئك الذين لعنهم الله** ﴾ [الآية: ٢٣، محمد] وبعد لعنـة الله مـاذا ينتظرون يا إخواننا؟

رسالة المرسلين

فهذه رسالة المرسلين ورسالة النبيين فى كل وقت وحين صـلاح الأفراد وصلاح المجتمعات وصلاح العباد والبـلاد لـن ولا يتـم إلا بصلاح القلوب وصلاح الصدور وطهارة النفوس لله عز وجـل وهـل إذا كثر المال يا رسول الله لا يحل هذه المشاكل ؟ قال لا : **(يشيب ابـن آدم ويشيب معه اثنتان الحرص وطول الأمل)** فكلما يشيب كلما يزيـد حرصه على الدنيا وكلما يزيد الأمل ينسى الحميد المجيـد عز وجـل ولو كان له واد وليـس جنيهات من ذهب لتمنى أن يكون لـه الثـانى ولو كان له واديان من ذهب لتمنى أن يكون له الثالث ولا يمـلأ عيـن ابن آدم إلا التراب إذاً فما الذى يحل هذه المشاكل؟ إذا شُفيت الصـدور ﴿ **إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ [الآية: ٨٩، الشعراء] وليس المقصـود فى الآية أن يكون سليماً من الأمراض الجسمانية ولكن سليماً من الـذى

قلناه من الأنانية والأحقاد والأحساد فلم يجعل الله الدنيا أكبر همـــه ولا مبلغ علمه بعد أن طهر قلبه لله فاصبح همه كلـــه إمـــا فـــى الباقيـــات الصالحات وإما فى مراقبة الله فى الجلوات والخلوات وإما فى العمـــل الذى يعتقد تمام الاعتقاد انه هو العمل البـــاقى لـــه بعـــد زوال الأرض والسماوات وهذا الإنسان الذى يصلح به كل زمان وكل مكـــان فكـــان يربى الأفراد على هذه الخصيصة سيدنا عمر ﷺ دخـــل بيـــت مـــال المسلمين بعد ما وزع كل ما فيه وأمر خادم بيت المال أن يرشه بالمـــاء حتى يحضر هو وبعض نفر من أصحاب النبى ﷺ لصلاة ركعتيـــن فيه وحضر وصلى الركعتين وجلس معهم وقال لهم تمنوا يعنى ما الذى تتمنوا أن يملأ الله به بيت مال المسلمين؟ وكانوا أصحاب نوايا طيبـــة كل ما يتمنونه ويطلبونه أمور تساعدهم على دعوة الله أو توصلهم إلـــى رضوان الله جل فى علاه لا يحتاجون إلى الدنيا والأموال إلا إذا كـــانت تعينهم على هذه المهمات وتســـاعدهم علـــى هـــذه الملمـــات لكـــن لا يحتاجونها لذاتهم لأن النبى حفظهم وعرّفهم بأن الدنيا كلها قليلة فعرفـــوا جيداً أن المرء مهما عاش فى الدنيا وهو خارج من هنا يســـألونه فـــى الجمارك البرزخية وهو داخل من دار الدنيا إلى الدار البرزخيـــة أيـــن تأشيرتك؟ وكم عام فى الدنيا عشت؟ فيتعجب ويقول هـــل أنـــا عشـــت سنين؟ فمنهم الذى يقول ﴿ **كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشـــية أو ضحاها** ﴾ [الآية: ٤٦، النازعات] أنا عشت إما قدر زمـــن العشـــاء أو مقدار وقت الضحى فلم يكمل حتى يوماً أما المجرمون فيقسمون بـــأغلظ

الأيمان يقولون أنهم ما عاشوا غير ساعة واحدة والساعة فـــى القــرآن يعنى لحظة وليست ستون دقيقة ﴿ **ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة** ﴾ [الآية: ٥٥، الروم] والنبى ذكر لأصحابه بعض الأسئلة التى سئلت للسابقين لأننا كلنا سنتعرض لسؤال الملكيـــن فقـــال لهم: نبى الله نوح بعدما خرج من الدنيا فالملائكة سألته وقالت له يا نبى الله كيف وجدت الدنيا؟ ــ مع أنه عاش ألف وثلاثمائة سنة وتســـعمائة وخمسون هذه مدة الدعوة لكن قبلها فترة عاشها وفـــترة عاشـــها بعـــد الطوفان وجملتها ألف وثلاثمائة سنة ــ كيف وجـــدت الدنيـــا ؟ قـــال: **(وجدتها كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر)** فما لنـــا نتعشم ونريد الاستكثار من الدنيا وإذا لم يأت المال من حلال أتفنن فـــى الحصول عليه من حرام وأتفنن فى الخداع من أجل أى شـــئ؟ نحـــن جميعاً يا إخواننا مسافرون والتذاكر خرجت من خزانـــة رب العـــالمين والسفر هذا على يقين ولكن لا أحد يعرف الميعاد ولا يعلمه إلا أرحـــم الراحمين عز وجل ويا ليتنى أعرف الميعاد كنت عندما انحرف قليـــلاً اجتهد وأرجع قبل الميعاد ولا أسوّف وهذا الأمر الذى حفظه رسول الله لأصحابه رضوان الله عز وجل عليهم وكان يأخذهم مرة بالأمثلة ومـــرة بالحياة الفعلية فقد صحب مرة معه أبا هريرة إلى مزبلة خارج المدينـــة فوجدوا جدياً ميتاً وقد أكلته الكلاب كله ولم يبق إلا أذنه فقال ﷺ يا أبـــا هريرة هذا مثل الدنيا **(الدنيا جيفة قذرة)** هذا الكلام نعرفه ونأخذه مـــن العلماء العاملين لكن عندما انشغل الناس عن مجالس العلـــم وانشـــغلوا

بالمسلسلات وانشغلوا بالمحادثات وانشغلوا بالجلوس على المقاهى وفى الشوارع والنواصى فمن الذى يقول له العالم؟ لا أحد يسمع وإذا حضر أحد للسماع يكون كله غرور فيقول فى نفسه ماذا يقول هذا؟ يعنى هو الشيخ الشعراوى نحن نسمع الشيخ الشعراوى فى التليفزيون وهذا ليس منهج المسلمين الأولين لأن العلوم أسرارها تؤخذ من المواجهة بين العالم والمتعلمين وهذه المواجهات فيها أنوار تحصل فى قلوب الأبرار يرسلها الواحد القهار لا تأتى للإنسان ولو جلس فريداً يطلب العلم بمفرده سنين طوال ليل نهار بركة هذه المجالس التى تحفهم والملائكة التى تنزل السكينة على قلوبهم والرحمة التى تغشاهم من الله عز وجل.

فأصحاب رسول الله ﷺ رباهم على هذه الفضائل وعلى هذه الصفات وكان لكل واحد معرفة، الواحد فينا الآن لو رأسه وجعته يسارع للطبيب وإذا لم يجد هنا علاج يسافر للقاهرة وإذا لم يجد فى القاهرة يسافر الخارج لأن رأسه توجعه ويحتاج لعلاج لها لكن عندما يصلى لا يدرى ماذا يقول وليس عنده خشوع أو حضور فى الصلاة ولا يسأل المطلوب أن تعالج نفسك من مرض الشرود فى الصلاة لتكون من الذين أثنى عليهم الله وقال فى حقهم فى كتاب الله ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ﴾ [الآيتان: ١-٢، المؤمنون] كان النبى يظل وراء الرجل ﷺ إلى أن يوصله بالله كيف يوصله بالله؟ هل ربنا له زمان أو مكان؟ لا، يصل قلبه بالله يعنى ساعة

ما يقول يارب يجد أمامه استجابة من الله لكل ما يهواه ويتمناه وإذا لـــم يصل إلى هذه المرحلة نقول له : لا أنت تحتـــاج إلـــى عـــلاج لأن أى مؤمن وأى مسلم قال لنا ربنا كلنا ﴿**ادعونى استجب لكـــم**﴾ [الآيـــة: ٦٠، غافر] فنحن جميعاً أى واحد منا يدعو لابد أ ن يســـتجيب لـــه الله عز وجل فإذا لم يصل إلى هذه الحالة نقول له أنت لم تصل بعـــد إلـــى الدرجة التى يقول فيها ربنا ﴿ **إنما يتقبل الله من المتقيـــن** ﴾ [الآيـــة: ٢٧، المائدة] عالج قلبك أولاً من أجل أن تصل فيـــه حـــرارة الإيمـــان وخط التليفون يتصل بالرحمن لأن فيه حرارة فساعة ما نقـــول يـــارب تسمعه وهو يقول لبيك عبدى. تقـــول الحمـــد لله رب العـــالمين يقـــول حمدنى عبدى، الرحمن الرحيم يقول أثنى علىّ عبدى، مالك يوم الديـــن يقول مجدنى عبدى.. هذه محادثة بينك وبين من يقول للشئ كن فيكـــون عز وجل فيظل ورائهم إلى أن يوصلهم لهذا الحال وهذا حال كل مســـلم وكل مؤمن آمن بالله وصدق بحبيب الله ومصطفاه ولم يمرض قلبه ولـــم تتلوث نفسه بالأمراض التى أشرنا إليها فى هذا الــــدرس، أى مؤمـــن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ولم يكن فى قلبه ولا فى نفســـه ولا فى صدره هذه الأمراض التى تحجب الإنسان عن تحقيق المراد يكـــون بينه وبين الله عهد فعندما يقول يارب يجد الله عز وجل أقرب إليه مـــن نفسه التى بين جنبيه لأنه عز وجل أقرب إلى كل شئ من نفس الشـــئ لكن أنت تركت عدة التليفون الخاصة بك إلى أن صدأت (**إن القلـــوب**

لتصدأ كما يصدأ الحديد[1] العدة صدأت من الأهواء وحب الدنيا لأنـــه رأس كل خطيئة والسعار على المادة وماذا نعمل بها؟ نريد أن نخـــرج من هنا وقد نلنا رضاه عز وجل فتأتى بعد ذلك تقـــول يـــارب وليـــس عندك حرارة والخط غير واصل والإرسال لا يمشى وتقول أنا أدعـــو ربنا ولا يستجيب لى، أنت لم تعالج العدة التى عندك أنا أصلى وأصـــوم وأقوم الليل وأقرأ القرآن لكن جهاز الإرسال مريض وتعبان لم تطـــهره كما أمر النبى العدنان ﷺ .

طهارة الجوارح

سيدنا عثمان ﷺ كان يقرأ القرآن كله من أوله إلى آخـــره فـــى ركعتين بين المغرب والعشاء تقول كيف ذلك؟ لا أعرف هـــذه أحـــوال كان فيها هؤلاء الرجال وما زالت إلى أن يرث الله عز وجـــل الأرض ومن عليها فسألوه ما الذى بينك وبين القرآن؟ قال لو طهرت القلوب مـــا شبعت من كلام علام الغيوب فالرجل الذى جاء من الصحـــراء وكـــان شاعراً عظيماً والقصائد التى أنشدها يكتبونها بالذهب ويعلقونـــها علـــى الكعبة وسموها المعلقات أول حاجة يعملها أصحاب رسول الله معـــه أن يرفعوا هذه الأشياء من قلبه لينزل فيه كلام ربه عز وجل لأن كـلام الله

---

[1] رواه البيهقى فى شعب الإيمان وعبدالرازق فى الجامع وأبو نعيم فـــى الحليـــة والخطيب عن عبد الله بن عمر.

نور والنـــور لا يجب أن ينزل على ماعون فيه تفكير فى فســـــق أو فجور ﴿ **نور على نور** ﴾ [الآية: ٣٥، النور] أنا أقرأ كلام الله بلســـان يقول الكذب والزور أهذا يناسب نور كلام الغفور عز وجـــل ؟ لأننـــى عندما أقرأ ﴿ **ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** ﴾ [الآيـــة: ٦١، آل عمران] فأنا بذلك ألعن نفسى إذاً لابد أن أطهر أولاً اللسان وأطـــهر القلب والجنان لتصلح الأعمال الصادرة منى لحضرة الرحمن عز وجل فسيدنا عمر يختبره بعدما عملوا له العملية (يختبروا الرجـــل الشـــاعر اللبيب) يقولون له أنشـــدنا بعض قصائدك قال يا أمير المؤمنين أأنـــت تقول هذا ؟ ما ينبغى لى أن أملأ قلبى بشئ غير كتاب الله بعد إذ دخلـــه لا أنظر إلى شعر أو نثر أو نظم أو أغانى أو مواويل أو مسلســـلات أو أفـــلام ولا شئ من هذا القبيل وقد قال الله عز وجل ﴿ **مـــا جعـــل الله لرجل من قلبين فى جوفه** ﴾ [الآية: ٤، الأحزاب] والمشكلة التى نعانى منها أننا نريد أن نجمع الاثنين الدنيا والآخرة وهذا لا يجوز لكـــن أنـــا أجمع نفسى على الله وهو بعد ذلك يسخر لى كل ما فى هذه الحياة هـــذه سكة المؤمنين وطريق الصادقين الذى علمه لنا النبى الأميـــن ﷺ أنـــا سوف أجرى والدنيا تجرى أمامى ولا أحصل منها شيئاً وأخـــرج مـــن الدنيا لا أخذت الدنيا ولا أخذت الآخرة لأننى أســـعى فـــى المضمـــون وتركت الذى أمرنى به الحى القيوم عز وجل.

فتربية رسول الله هى هذه والتى من المفروض أن نربى عليها أبنائنا من البداية على الحب وعلى المودة وعلى الصدق وعلى المروءة وعلى القيم الإلهية التى لن تصلح المجتمعات الإنسانية إلا إذا انتشرت فيها هذه القيم الإسلامية يصنعوا صواريخ، يصنعوا عابرات القارات لكن لن يصلح الله شأنهم وحالهم إلا إذا صدّرنا لهم أخلاق القرآن وصفات النبى العدنان بعد أن تجملنا بها ظاهراً وباطناً فى حياتنا وبيوتنا وفى كل مكان هم يقرأونها ولكنهم يريدون أناس يمشون فيها ويمشون عليها ويمشون بها كما كان أصحاب رسول الله ﷺ هذه يا إخوانى باختصار شديد السبيل التى بها إصلاح البشر والعباد والبلاد والأكوان وقد قال الله عز وجل قانوناً سماوياً فى ذلك ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ [الآية: ١١، الرعد] أى عندما يغيرون الذى بأنفسهم فيرفعون الحقد ويضعون الحب كما فعل النبى ﷺ فقد وجد المجتمع كله عصبيات وأحقاد وصفات كلنا نعرفها وسمعنا عنها الكثير ما الذى فعله؟ أصلح القلوب بكلام علام الغيوب وبنوره الموهوب فلما صلحت القلوب طهرت لله فأصبحوا كما قال فيهم الله ﴿ **إنما المؤمنون أخوة** ﴾ [الآية: ١٠، الحجرات] وأنتم تعلمون بعد ذلك الذى حدث الذى كان يقسم بيته مع أخيه والذى يقسم معه ماله وكذا وكذا وعندما جاء الخير وكثر وجاء النبى ﷺ فى إحدى الغزوات

وأراد أن يعطى فقراء المهاجرين الموجودين فقط وأحضر الأنصار قبل التوزيع وقال لهم : اختاروا إما أن أعطى الفقراء من المهاجرين وأعطيكم والذى تنازلتم عنه من الأموال والدور يظل كما هو معهم وإما أن أعطيهم وأترككم ويردوا لكم ما أخذوه منكم قالوا: لا يا رسول الله اعطهم والذى أخذوه منا يظل معهم لأننا لا نرجع فى شئ خرجنا منه لله عز وجل ما هذه النفوس يا إخواننا؟ هؤلاء الذين قال له الله فيهم ﴿ **يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه** ﴾ [الآية: ٢٨، الكهف] كل الذى يريدونه وجه الله لكن المصيبة التى حلّت بالمسلمين فى زماننا حب المادة وحب الدنيا والتنافس فيها فهو أساس كل بلاء **(حب الدنيا رأس كل خطيئة)** فإذا كان الحلال لا يكفى يغش ويخدع يغش فى الوزن ويغش فى الكيل لأنه يريد الدنيا أخيه جاءته الدنيا ولم تأت له يحقد عليه ويحسده ويريد أن يذهب الخير من عنده فهذه الأمراض وهذه الأغراض وهذه الأعراض هى التى أصابت بالنكبة البلاد ولا صلاح لها إلا بمنهج الهدى والرشاد الذى وضعه النبى المصطفى وسار عليه أئمة الإرشاد وستظل المسيرة إن شاء الله إلى يوم الميعاد والنبى ﷺ بشرنا بأن حالنا سينصلح ونرجع إلى هذا الأمر وقال : **(يصلح آخر هذه الأمة بما صلح به أولها)**[١] وقال **(ويكثر المال ويفيض حتى يحمل أحدهم صدقته فى حجره فلا يجد فقيرا يأخذها**

---

[١] رواه ابن عساكر عن خطبة لأبى بكر.

منه)[1] متى يحدث هذا؟ عندما ننزع من نفوسنا هذه الأمراض ونعالجها بملازمة العلماء العاملين والصالحين وطاعة الله عز وجل والعمل بكتابه فى كل وقت وحين نسأل الله عز وجل أن يصلح قلوبنا وأن يطهر نفوسنا وأن يزكينا كلنا وأن يرزقنا الحب الصادق لحضرته ولنبينا ولقرآننا ولإخواننا المسلمين أجمعين حتى نكون من الذين مدحهم وأثنى عليهم فى كتابه وقال فى شأنهم ﴿ **يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا** ﴾ [الآية: ٩، الحشر].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

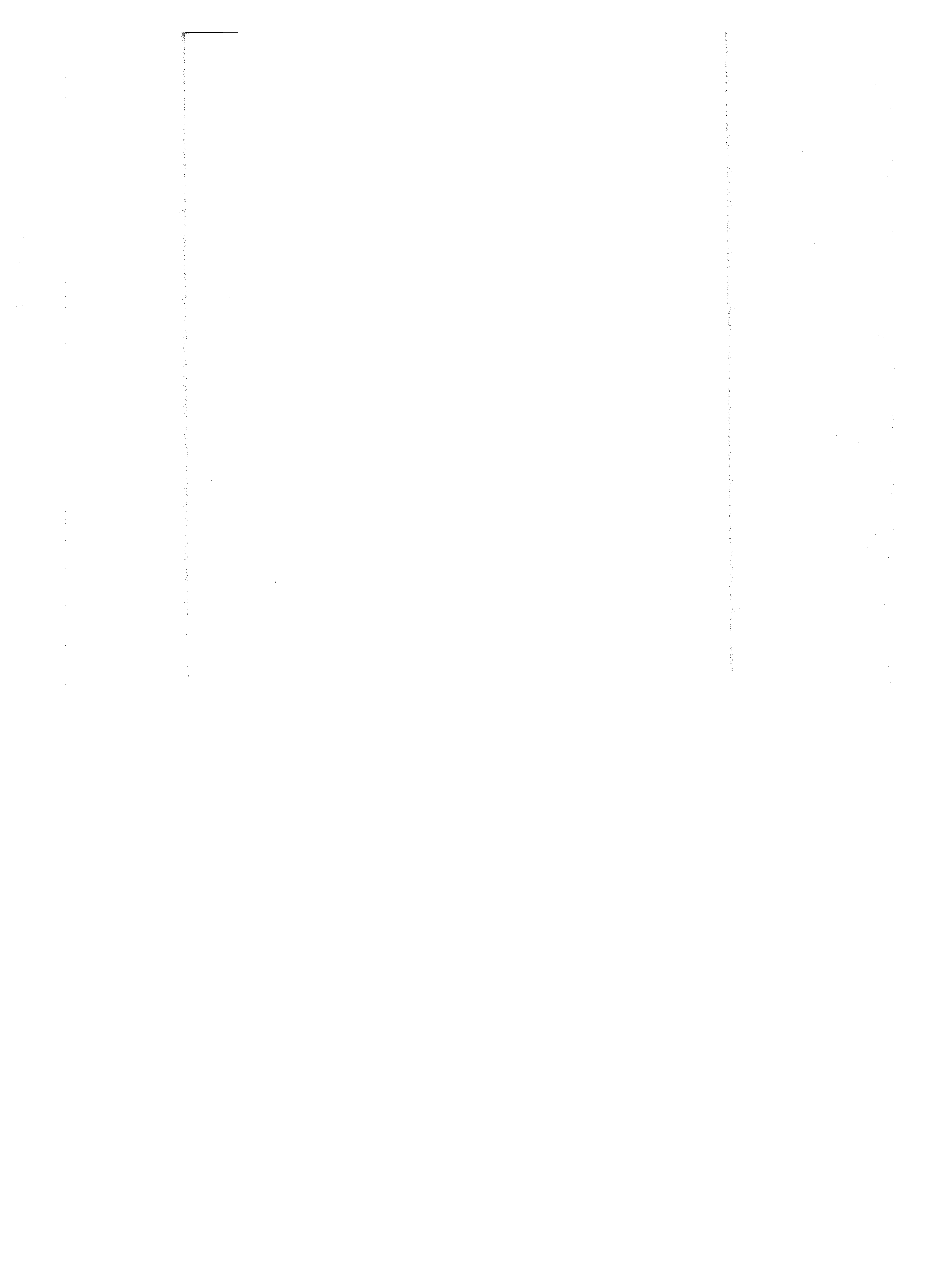
---

[1] رواه البخارى ومسلم وأحمد وابن حبان وابن عساكر عن أبى هريرة.

الفصل الثانى

كيفية علاج الإسلام لأدواء البشرية

- التدرج فى تحريم الخمر.
- الإسلام وعلاج أمراض المجتمعات.
- أخوة الإيمان.



كيفية علاج الإسلام لأدواء البشرية(*)

الحمد لله الذى أخرجنا بفضل كتابه الكريم وهدى نبيه القويم من الظلمات إلى النور.

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله مُصلح أحوال البشرية بالأدوية والأشفية القرآنية والحكم والبيانات الربانية صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله الأصفياء وأصحابه الأتقياء وكل من تبع هداه إلى يوم العرض والجزاء آمين يارب العالمين.

أما بعد..

فيا أيها الأخوة الأحباب :

عندما ينظر المرء منا إلى بعض ما يجيش فى عالمنا المعاصر من نظريات وفروض ومن سلوكيات وأخلاق ومن صراعات وشقاق وخلاف، ينظر ويتفكر كل إنسان عن السبيل الذى به سعادة البشرية وسعادة كل إنسان، ظن بعض الناس أن إسعاد البشرية فى المال مع أننا نجد أن ٩٩% من مشاكل البشرية وتقاتلها وتحاسدها وتباغضها بسبب الصراعات على جمع المال وظن البعض أن السبيل إلى إنهاء

(*) كانت هذه الندوة بقصر الثقافة ببنها محافظة القليوبية بتاريخ ١٧ من ربيع الثانى ١٤١٨هـ الموافق ١٩٩٧/٨/٢١م.

مشاكل البشرية وإسعاد الإنسانية هو الثقافة العلمية الحديثة والثقافة العلمية الحديثة لو اتبعتها البشرية بعد تقنينها بالأخلاق الدينية ربما تؤدى إلى السعادة لكنها إذا أطلقت بدون قيود دينية كانت كما نرى فى كثير من الأماكن سبب رئيسى لتدمير المجتمعات الإنسانية فمثلا العلم عندما نستطلع رأيه فى الخمر والمسكرات والمخدرات نجد العلم يحرمها تحريما كليا لما تسببه من أضرار صحية ونفسية وأسرية واجتماعية لكن هل استطاع العلماء الذين أدركوا هذه الحقائق أن يمنعوا مجتمعاتهم منها ؟ نجد ذلك لم يحصل حتى فى أرقى الدول تقدما وحضارة ومدنية فقد بذلت الولايات المتحدة الأمريكية فى الثلاثينيات ميزانية ضخمة للقضاء على شرب الخمر لكنها باءت كلها بالفشل فسنت وعملت قوانين صارمة لمن يتعاطى الخمر ولم تفلح هذه القوانين وصنعت كل وسائل الدعاية اللازمة لتنفير المواطنين الأمريكيين من الخمر لكن الاستطلاعات التى تمت بعد ذلك بينت زيادة المتعاطين لها وبعد أربعة سنين من تحريم الخمر صدر قانون لتحريمها وتجريمها واستمر من سنة ١٩٣٤م إلى سنة ١٩٣٨م وبعد يأسهم من تحريمها وتجريمها تركوا الأمور على عنانها ما المخرج لهذه المشكلة وغيرها من المشكلات؟ المخرج نجده فى حديث لرسول الله ﷺ تحدث فيه عن زماننا وبين ما يحدث لنا وما يحدث بيننا وما يحدث حولنا فقال ﷺ :

(ألا إنها ستكون فتن كقطع الليل المظلم يمسى الرجل مؤمنا ويصبح كافرا ويصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا يمرق أحدهم من الدين

كما يمرق السهم من الرمية) فقال الإمام على رضى الله عنه وكــــرم الله وجهه ــ راوى هــذا الحديث كما ورد فى صحيح الترمـــــذى ــ وما المخرج منها يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : **(كتاب الله تعالى فيه نبــأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الجد ليس بالـــهزل وهــو الذى لا تنقضى عجائبه ولا تنتهى غرائبه ولا يخلق** ــ يعنى لا يبلـــى ويقدم ــ **مع كثرة الرد** ــ يعنى مع كثرة التكرار ــ **وهو الذى لم تنتــه الجن إذ سمعته إذ قالوا : ﴿ إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشــد فأمنا به ﴾ من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن دعا إليــه دعــا إلى صراط مستقيم ومن تركه خوفا من جبار قصمه الله تعالى)** هـــذه المشكلة على سبيل المثال التى عجـــز العلــم وهــو ديــن أوروبـــا وأمريــكا الآن فهم يدعون أن دينهم هو العلم وهو ما قرره العلم مـــن حقائق ثابتة وقوانين مقـــننة ومؤسســـة علـــى الملاحظـــة والتجربـــة ويجعلونها هى الدين الذى يحرصون عليه ويدعون إليه، عجز العلم مع دقة حقائقه عن القضاء على ظاهرة تعاطى الخمر وشرب المســـكرات وكذلك الزنا وكذا الربا وكذا قطع الأرحام وغيرها من الأمراض التـــى نعجز عن حصرها فى هذا المقـــام كيف عـــالج القـــرآن مثـــل هـــذه الأمراض؟ عالجها بأسلوب حكيم قال فيه المولى عز وجل **﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحســـن ﴾** [الآية: ١٢٥، النحل] فقد وجد ﷺ فى مجتمع يغلب على سكانه شـــرب الخمر ويعدونها علامة على الصواب وعلامة على الفتوة وعلامة علـــى

القوة وينشدون الشعر مباهاة فى فعل ذلك ويفتخرون ويتباهون بهذا الصنيع كيف قضى عليها؟ بالتدريج الإلهى الذى طالب الله عز وجل المسلمين بإتباعه عند أى أمر ولذلك يقول أمير الشعراء أحمد شوقى عند وصفه لرسولكم الكريم ﷺ : (داويت متأدا وداوو طفرة أى داويت بالتؤدة والتروى والأناة وهم يريدون أن يقضوا على الداء بمشرط وليس كل داء ينفع معه المشرط فالداء إذا وصل إلى النفس وتلذذت به تحتاج إلى التمهل فى استئصاله ولا يستطيع الإنسان أن يقضى عليه بقانون لأنه مرض مرضا اشتدت وطأته على نفوس متعاطيه لكن يحتاجون إلى هذا العلاج القرآنى فكان أول ما بدأهم الله عز وجل وقد حدث فى الصلاة أن بعضهم كان يؤم رفاقه فقال قارئا بعد قراءة الفاتحة: (قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون) وصحتها ﴿ **لا أعبد ما تعبدون** ﴾ فنزل قول الله عز وجل ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون** ﴾ [الآية: ٤٣، النساء] أعطى نفسك وقتا تفيق فيه من سكرتك لتؤدى الصلاة لربك عز وجل فإذا شرب الخمر لابد أن يعطى نفسه وقتا يفيق منها لصلاة المغرب وبعد المغرب هناك العشاء ثم هناك الفجر والظهر والعصر فأصبحت الأوقات التى يسمح فيها بتعاطى هذا المنكر ضيقة وقليلة فقلت كمية التعاطى للمتعاطين لها ثم بعد ذلك حدث خلاف بين بعض المسلمين وكان بعضهم يشرب الخمر فلم يدرى ما يقول والله عز وجل من حكمته فى شريعة الإسلام أنه جعل هذه الشريعة تدور حول خمسة

أحكام أو خمسة حكم كل أحكام الشريعة تدور حولها فى الصلاة وفى الصيام وفى الميراث وفى الزواج وفى الطلاق وفى الحرب وفى السلم فالغاية من جميع أحكام الإسلام ماذا؟ حفظ العقل وحفظ النسل وحفظ المال وحفظ العرض وحفظ الوطن وكل أحكام الإسلام تدور حول هذه الكليات الخمس فالعقل هبة من الله ولذلك أمر الله عز وجل المؤمنين بالابتعاد عما يغيب هذا العقل وكان ذلك السبب والعلة فى تحريم الخمر والمسكرات والإسلام يحفظ النسل ويريد من الناس أن يتناسلوا بالطرق الحلال الشرعية ولذلك حرم الزنا وحرم حتى الاقتراب منه حتى لا يقع الإنسان فى المحظور بعد دخول هذا الحمى الذى حرمه الله عز جل بالكلية وأمر الله عز وجل بحفظ المال لكل فرد ولذلك حرم السرقة وحرم الاختلاس وحرم الرشوة وحرم النهب ووضع القواعد الشرعية الإلهية لقسمة الميراث للإخوة فى المال الذى اختصوا به من أبيهم حفظا على هذه الأموال حتى لا يتعرض الناس للمشاحنات والتقاتل والتخاصم لأن هذا المال هو موضع الداء وهو سر الشحناء والبغضاء بينهم.

التدرج فى تحريم الخمر

هذه الأمور الكلية هى التى يدور عليها كل الأحكام التشريعية فى الديانة الإسلامية فلما أراد الله عز وجل أن يحفظ العقل منع المؤمن من الاقتراب من الخمر فى البداية عند الصلاة ثم منع المؤمنين بعد ذلك

من شربها وجعلها من الخبائث ونهى عنها وقال فيها ﷺ : **(الخمـــر أم الخبائث)**[1] يعنى لا تقربوها وابتعدوا عنها حتى لا تقعوا فى الخبـــائث ونهى عن عصرها وعن بيعها وعن الإتجار فيها وعن حملـــها وعـــن تقديمها وعن الجلوس حتى على مائدة تدار عليها فقال ﷺ : **(لعــن الله الخمر وعاصرها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه)**[2] وقـــد جمع فى سبب تحريمها عشرة أشياء جمعها الأئمة الأعلام من أحـــاديث رسول الله ﷺ ثم قال سيدنا عمر يا رسول الله نرجو أن يبيـــن الله لنـــا فى الخمر بيانا شافيا فأنزل الله عز وجـــل قولـــه ﴿ **إنمـــا الخمـــر والميسر والأنصـــاب والأزلام رجـــس من عمل الشيطان فـــاجتنبوه** ﴾ [الآية: ٩٠، المائدة] فجعل الخمر والميسر (يعنى القمـــار) والأنصـــاب (يعنى الأصنام التى تصنع من الحجارة) والأزلام وهى الأصنام التـــى تصنع من الخشب كلها شيئا واحدا وهى أربعة فكـــان الواجـــب طبقـــا لقواعد اللغة العربية أن يقول (إنما الخمر والميسر والأنصـــاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوهم) لكن الله قال (فاجتنبوه) يعنى جعـــل الأربعة لهم حرمة واحدة أى أن شرب الخمر يعادل عبـــادة الأصنـــام بأنواعها ويعادل القمار بأصنافه ودروبه وأشكاله إذا حرم الله الخمر فى هذه الآية كتحريمه لعبادة الأصنام ولذلك لما نزلت هـــذه الآيـــة روت كتب السنة الصحاح أن أهل الإسلام أراقوا كل ما عندهم من دنان فيـــها

[1] رواه الطبرانى فى الأوسط وابن النجار عن ابن عمرو.

[2] رواه أحمد وأبو داود والبيهقى والطبرانى فى الكبير والحاكم عن ابن عمر.

خمر معتقة فى ساعة واحدة كسروا آنيتها وأراقوها فى الشوارع حتـــى قالوا : (لقد زلقت طرق المدينة من كثرة ما أريق فيها من الخمر) فلــم يحتاجوا إلى قانون جنائى ولا إلى مكاتب للمتابعـــة أو للقبـض علــى المخالفين لأن تشريع الله عز وجل مبجل من الجميع وفيه النفع والشـفاء للجميع وقد نزل لهم مع بيان الحكمة الشافية فكان علاجا لـــهذا الأمـــر ناجعا إلى يوم الدين وكذلك يا إخوانى كل المنكرات.

الإسلام وعلاج أمراض المجتمعات

فمهما ظهر فى عصرنا من أصناف المنكرات فلن تجـــد لـــها إذا بحثت فى كتب التاريخ ما كان حادثا فى أيام الجاهليـــة وقـــد اســـتطاع القرآن الكريم أن يقضى على كل هذه المنكرات بشـــئ واحـــد غـــرس الإيمان فى القلوب وجعله مسيطرا ومهيمنا علـــى النفـــوس فـــأصبحت النفوس ملكا للمليك القدوس لا تفعل إلا مـــا يأمرهـــا بـــه الله وتنتـــهى بإرادتها طواعية واختيارا عما نهى عنه الله لأن هذا موجـــب الإيمـــان كما بين كتاب الله وكما وضح لهم رسول الله ﷺ إذا يا إخوانى عـــلاج أمراض العصر فى مجتمعنا أو فى المجتمعات المعاصرة كلها لا يكـون إلا بإخضاع البشرية لأحكام القرآن الكريم ولا يتم ذلك بالخطب الرنانـة ولا بالحماس الفردى ولا بالتشنج العصبى وإنما يبـــدأ ذلـــك باقتناعنـــا كمسلمين أولا بما فى هذا الكتاب ثم نطبق ما فيه على أنفســـنا وعلـــى أولادنا وعلى بيوتنا فإذا فعلنا ذلك كنا كسلفنا قدوة صالحة مـــن رآهـــا

يرى كتاب الله ظاهرا لكن بالله عليك عندما يسمع رجل كما نــرى الآن عن الإسلام ومميزاته وخصائصه وينظر إلى ما عليه المســلمون مــن غش فى تعاملهم ومن خديعة فى أحــوالهم لبعضـــهم وبينـــهم وبيــن أقاربهم وإخوانهم ومن تدليس فى بيعهم وشرائهم يظــن أن ذلــك هــو الإسلام لا يعتقد أن العيب فى المسلمين بل ينسب العيب للديــن الــذى اختاره المسلمين فيعيب الإسلام لما رأى عليه من أحـــوال المســلمين عندما نقول له إن الإسلام قال على لسان نبـــى الإســـلام للمجـــاهدين الأولين: (**لا تقتلوا إمرأة ولا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا تحرقـــوا زرعا ولا تقتلوا ماشية**)[1] عندما يسمع الإنسان غير المسلم بذلك ثـــم يرى على شاشات وســائل الإعلام تقتيل شـــباب المســلمين بعضـــهم بعضا بدون شئ يستوجب ذلك ماذا يقولون عن أحوال هـــؤلاء الذيـــن يدعون أنهم زعماء الإسلام؟ وهم الذين لهم الوصايــــة علـــى أحكـــام الإسلام وهم الذين كلفهم الله بتطبيق شريعة الإسلام.

نعـــيب زماننا والعيب فينا وليـــس لزماننا عيب سوانا

أخــوة الإيمان

فالإسلام يحتاج منا جماعة المسلمين أولا : أ ن نكون فيمـــا بيننـــا صورة حية لتعاليم الإسلام ﴿ **إنما المؤمنون إخـــوة** ﴾ [الآيــة: ١٠، الحجرات] كيف تكون أخوة الإسلام؟ أن يحب بعضنا لأخيه ما يحـــب

[1] رواه صاحب جامع الأحاديث والمراسيل عن عمر بن الخطاب.

لنفسه وإذا وضعت قلب الرجل منهم تحت الميكروسكوب الإلهى تجده نقيا من الغل والغش والحسد والكبر والبغضاء والكره، إن الله يقول فى شأن المؤمنين ﴿ **ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين** ﴾ [الآية: ٤٧، الحجر] يذهب بعض التلاميذ إلى بيت الإمام أبى حنيفة فيجدون عنده فئران فيقول بعضهم عندى دواء للقضاء على هذه الفئران قال : وما هو؟ قال عندى قطة ماهرة إذا سمع الفئران صوتها فروا جميعا من البيت. فقال الإمام أبو حنيفة وأين يذهبون؟ قال: إلى الجيران قال: إذن أكون قد آذيت جارى والرسول ﷺ يقول : **(ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)**[1] أين هذا الحق الآن الذى جعل جار أبو حنيفة اليهودى ينظر إليه فى يوم شات وقد وقف قبالة بيته متحيرا وقتا طويلا فقال له ما بك يا إمام؟ قال عندما مشيت فى الوحل خرجت هذه القطعة من الطين فلصقت فى جدار بيتك وأنت قد نظفته ودهنته من قريب فوقفت متحيرا إذا تركتها فقد آذيتك وإذا أزلتها فأثرها أيضا يؤذى تناسق شكل بيتك فهل تسامحنى فى ذلك؟ فقال وهل دينكم يأمركم بهذا؟ قال وأكثر من هذا. قال: إن هذا لهو الدين الحق أين هذا من الجار الذى يؤذى من فوقه ومن تحته بمجاريه أو بمياهه أو بدقه أو بوسائل ترفيهية من إذاعة أو تليفزيون أو الفيديو أو رائحة طعامه أو غير ذلك مما يعجز العقل والوقت عن حصره.. كانت تلك الأخلاق الإيمانية هى التى تجذب

---

[1] رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى عن عمر وعائشة والبيهقى.

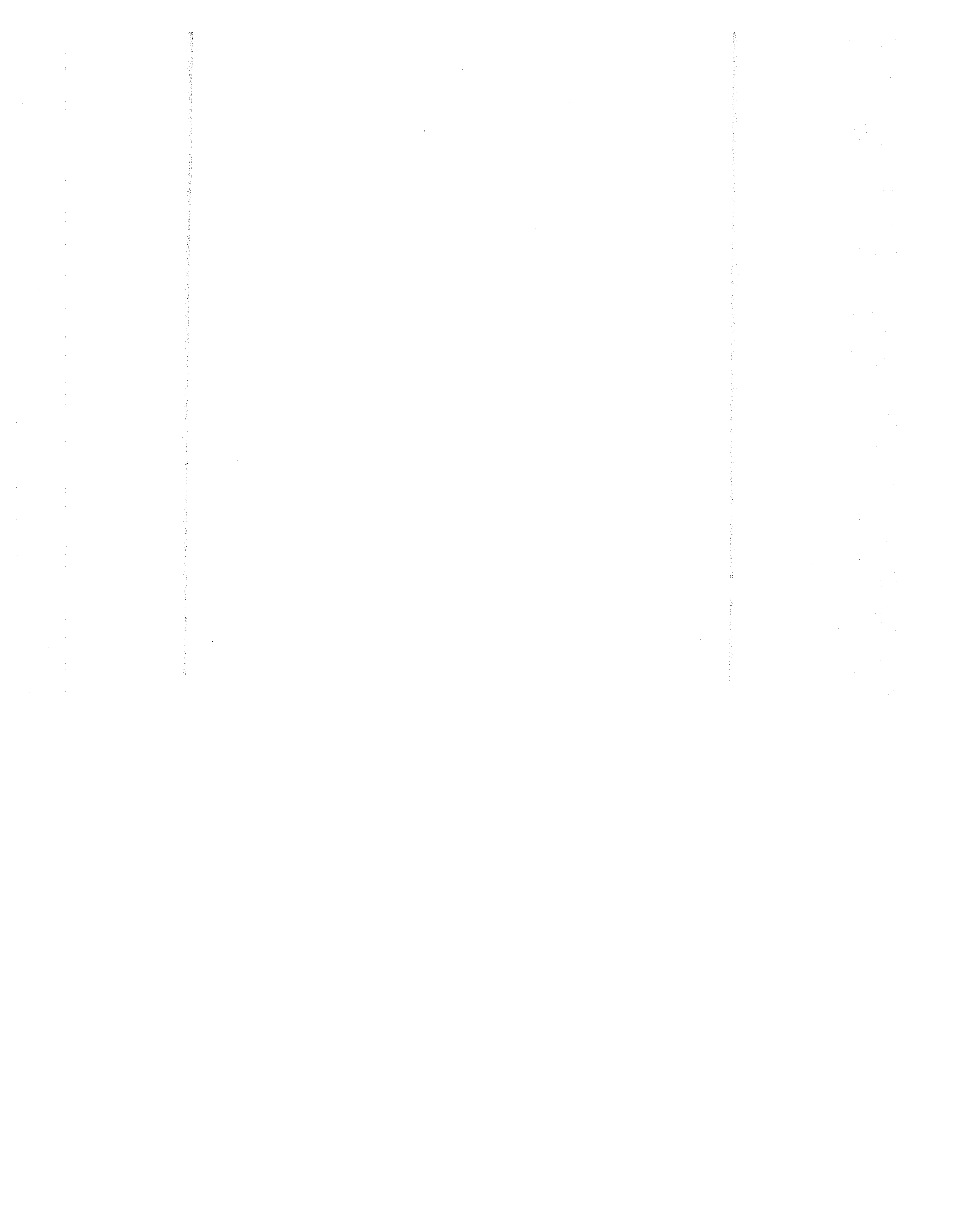
هؤلاء القوم إلى ديننا الإسلام فإذا طبقنا فيما بيننا حق المسلم على المسلم وحق الجار على جاره وحق الأب على ابنه وحق الصديق على صديقه وحق الزميل على زميله وحق الأخ على أخيه وحق الزوجة على زوجها وحق الزوج على زوجته إذا طبقنا هذه الحقوق فلن يكون فى مجتمعنا أمر يضر مسلما أو ينرفز جسمه أو يوتر أعصابه لأنه لا يجد فيمن حوله إلا ما يحبه يجد من حوله أحرص عليه من نفسه ويحبون له الخير كما يحبونه لأنفسهم هذا يا إخوانى هو السبيل الوحيد لعلاج أمراض مجتمعنا وللنهوض من الأحوال التى بنا. نسأل الله عز وجل أن يطهر قلوبنا وأن يملأ باليقين والتقى والطهر قلوبنا وأن يشفى من الأمراض والحسد والشحناء نفوسنا وأن يؤلف فيما بيننا وأن يرزقنا خالص الحب لبعضنا والمودة لجميع أهل مجتمعنا.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الثالث

تربية النبى ﷺ للشباب

- للحياة غاية.
- كتمان السر.
- الأمانـــة.
- دين القيم الفاضلة.
- الإيمان والمبدأ.



تربية النبى ﷺ للشباب(*)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام الأنبياء وزعيم المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد..

ونحن فى مستهل هذا العام الهجرى الجديد الذى ندعو الله عز وجل جميعاً أن يجعله عام خير وفتح ونصر علينا وعلى المسلمين أجمعين.

أشكر سيادة السيد العميد على توجيهه هذه الدعوة التى سعدنا فيها بلقاءه ولقاء شبابنا فى هذه الكلية الذين أرجو أن يكونوا داخلين فى قول الله ﴿ **إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى** ﴾ [الآية: ١٣، الكهف] ودرسنا اليوم ينقسم إلى شقين محاضرة بسيطة لن أطيل عليكم فيها ثم بعد ذلك نترك الفرصة الأكبر للأسئلة التى تشغل بالكم حتى نستطيع أن نرد عليها بتوفيق الله عز وجل[1] والمناسبة وهى مناسبة الهجرة سنأخذ منها لنا جميعاً عبرة فأحداث الهجرة ووقائعها لا يتسع الوقت لسردها وأظن أنكم والحمد لله تحيطون علماً بها وسآخذ العبرة

(*) كانت هذه الندوة بكلية التربية الرياضية ببنها يوم الأربعاء ٣ محرم ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١/٣/٢٨م بمناسبة الهجرة النبوية الشريفة.

[1] هذه الأسئلة والرد عليها ذكرناها فى كتابنا (فتاوى جامعة للشباب).

فى مجال الهجرة الخاصة بالشباب فقد قال ﷺ : **(بعثت إلـــى النـــاس كافة فأما الشباب فحالفونى)** فكانت دعوته أساسها وبدايتها ونشرها كله على أكتاف الشباب والشباب هم أصحاب الدور الأعظـــم فـــى هجـــرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدوارهم التى قاموا بها كلكم والحمـــد لله تعلمونها، تعلمون دور الســيدة أسماء بنت أبى بكـــر ودور أخيـــها عبد الله بن أبى بكر ودور غلامهما عامر بن فهيرة ودور الإمام علـــى بن أبى طالب لكن ما أريد أن أنوه عنه الآن بصفة خاصة كيف ربـــى رسول الله ﷺ هذا الشباب الذى جعلهم فى طرفة عين وفى أقـــل مـــن ثلاثين عاماً يكتسحون العالم كله شرقاً وغرباً ولا يقف أمامـــهم جيـــش مهما كانت قوته.

للحياة غاية

ما سر هذه التربية؟ رباهم على أن يكون الولد منهم والرجل منـــهم والفتاة منهم له هدف كريم يسعى إليه ويبذل فى سبيل تحقيقه كـــل مـــا يملك ولذلك فإن ديننا الإسلامى لا يعرف شباباً بغير هويـــة يعنـــى لا يدرى لماذا خلقه الله فى الأرض وما رسالته التى كلفه الله بـــها؟ ومـــا مهمته التى ينبغى أن يقوم بها لينفع نفسه وأهلـــه ومجتمعـــه ووطنـــه والعالم كله؟ لابد أن يكون للشاب أولاً هدف نبيل ومُثـــل طيبـــة وقيـــم فاضلة يجعلها أمام عينيه ويسعى لتحقيقها هذا هو النســق الأول الـــذى ربى عليه سيدنا محمد ﷺ شباب الإسلام الأوائل فجعل هدفهم هو نشـــر القيم الإنسانية الفاضلة التى جاء بها من عند الله بين ربوع هذه الحيـــاة

ولا تستقيم الحياة إلا بهذه القيم، القيم التى تستمد من الإيمان وأضـــرب مثلاً لذلك النبى ﷺ عندما كان فى مكة كان أهل مكة يتركون عنـده أى شئ يخشون ضياعه لأنه لم يكن يوجد عندهم بنـــوك يحفظـــون فيـــها الأموال ولا خزن يودعون فيها الأشياء الثمينة فكان أى شئ يخشـــون عليه يعطونه لرسول الله ﷺ ليحفظه عنده مع اختلافهم معه فى الديـــن ومع أنهم يحاربونه ويعلنون عليه الحرب المستمرة التى لا تنقطع لكـــن لا تنقطع ثقتهم به.

كتمان السر

ولما جاءت هجرته ﷺ وأعلنه الله عز وجل بالهجرة اعتمد فـــى تنفيذ مهمته على الشباب فكان يذهب إلى بيت صديقه أبى بكر صباحـــاً ومساءاً وفى يوم الهجرة ذهب إليه ظهيرة فى وقت القيلولة مـــع شـــدة حرارة مكة فدخل عليه وكان معه ابنتاه أسماء وعائشة فقال رســـول الله ﷺ أريد أن أخبرك بخبر لا يعلمه أحد سواك فقال أبو بكر فى ثقـة : لا عليك يا رسول الله فإنهما أسماء وعائشة ولا تخشى منهما شراً لأنـــهما تعلما كتمان السر وعدم إباحته إلا بإذن ممن همس به فى آذانهم وهـــذه خصلة إسلامية ما أحوجنا إليها الآن فى حياتنا الاجتماعية والدراســـية وفى كل أحوالنا فإن معظم مشاكلنا سببها الأول عدم كتمـــان الأســـرار فمن يسمع سراً من زميله يذهب بســـرعة ليذيعـــه لصاحبـــه فتنشـــب الخلافات وتقوم الصراعات والسبب الأول أننا لم نتأدب بأدب الإســـلام وهو كتمان السر قال ﷺ : **(إذا حدثك أخاك بحديث ثـــم التفـــت فـــهو**

أمانة)[1] يعنى لا تذيعه ولا تبلّغه لأحد إلا بإذن ممن قاله هــذا الخُلــق ربى عليه النبى ﷺ أصحابه جميعاً فأمّن الجبهة الداخلية فأصبح العــدو لا يستطيع أن يخترق بجواسيسه صفوفهم ولا أن يصل إلى أســـرارهم وأخبارهم حتى الصغار فعندما هاجر إلى المدينة صلوات الله وســلامه عليه وكانت السيدة أم سليم أنجبت ولداً ونذرت لله أن تجعلـــه للكعبــة خادماً لها فلما شرح الله صدرها للإسلام وهاجر النبى ﷺ ذهبت إليـــه ومعها ابنها أنس بن مالك وقالت يا رسول الله هـــذا عبــدك أنيــس ــ والتصغير للتدليل ــ كنت قد نذرت لله أن أهبه للكعبـــة واليــوم أهبــه لخدمتك فادع الله عز وجل له فقال ﷺ : **(اللهم أطل عمره وأكثر مالــه وولده)** فكان أطول الصحابة عمراً وعاش ما يزيد عن المائة عام ولــم يمت إلا بعد أن أخرج من صلبه ومن ذريته ما يزيد على المائة رجــل وكان من أغنى أغنياء الصحابة ببركة دعوة رسول الله ﷺ هذا الغــلام وهو عنده سبع سنين رأته أمه وهو يلعب مع الصبيان فنادته ماذا تفعــل يا أُنيس ؟ قال أرسلنى رسول الله ﷺ فى حاجة، قالت: وما هى؟، قال: يا أمّاه ما كنت لأفشى سرّ رسول الله ﷺ فاحتضنته وقبلتـــه وقـــالت : هكذا فكن فربى الرسول ﷺ أبناء مدرسته من صغرهم علـــى كتمـــان الأسرار والأسرار يعنى ما يدور بينك وبين صديق وما يـــدور بينـــك وبين الأب وما يدور بينك وبين الأم وما يدور بينك وبيـــن أى إنســـان مسلم فى أمر خاص يتعلق بشأن خاص أما الأمور العامة فى السياســـة

---

[1] رواه أبو داود والترمذى عن أبى هريرة.

والألعاب والرياضة والمذاكرة فليس هناك سر فى إذاعتها ولذلك أباحها لنا الله عز وجل فأنبأ رسول الله ﷺ سيدنا أبو بكر بخبر الـــهجرة مـــع وجود ابنتيه لأنه يعلم أن السر مصون ولن يتطلع عليه ولن يصل إليـــه الكافرون هذه قيمة يقول فيها ﷺ **(استعينوا علـــى قضـــاء حوائجكـــم بالكتمان)**[1].

الأمـــانـــة

القيمة الثانية والأعلى والأغلى والتى نحن فى أمس الحاجة إليـــــها جميعا أراد أن يخرج مهاجرا وعنده ودائع القوم والقـــوم قـــد فزعـــوا أصحابه وأخذوا دورهم وأموالهم وتركوهم يخرجون بدون ممتلكاتـــــهم خرجوا بدينهم وتركوا ممتلكاتهم ليستولى عليها الكافرون ظلما وعدوانـا فجاء بشاب يبلغ ثلاثة عشر عاما شاب صغير هو على ابن أبى طـــالب وقال : يا على نم فى فراشى هذا قال : يا رسول الله أخشى أن يدخلـــوا على غيلة (يعنى فجأة) ويقتلونى قال : أبشر فلن يصلوا إليـــك بســـوء، ابقى فى مكانى لترد الودائع إلى أهلها وكان درسا عظيما فـــى الكـــون كله من بدءه إلى الختام مع هذه الحرب ومع ما أخذوه من أصحابـــه إلا أنه يلقنهم هذا الدرس العظيم : **(أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن مـــن خانك)**[2] أى حتى ولو كان هو خائنا فلا تقابل الخيانة بالخيانة لأن كـــل

---

[1] رواه الطبرانى عن معاذ بن جبل فى الثلاثة.

[2] رواه البخارى وأبو داود والترمذى والحاكم عن أبى هريرة.

إناء بما فيه ينضح، إذا كان هو سمح لنفسه بالخيانـــة فخلقـــى ودينـــى وإيمانى لا يسمحون لى بهذه الخصلة الذميمة وأعلن على الملأ ســمات أتباعه منذ بعثته إلى يوم الدين ما أبرز سمة يتسم بها مسلم فـــى كــل زمان ومكان؟ الأمانة ولذلك قال ﷺ : **(لا إيمان لمن لا أمانة لـــه، لا إيمان لمن لا أمانة له، لا إيمان لمن لا أمانة له)**[1] خلق الإسلام الأول هو الأمانة والأمانة فى كل شئ فى المال، وفى المقال، وفى النظر فــى الأشياء وفى الأسرار وفى كل شئ وعلى المؤمن أن يلتزم بهذا الخلــق خلق الأمانة ولذلك وعى أصحابه هذا الدرس فبعد هجرته بـــأكثر مـــن ثلاثة أعوام جاء زوج ابنته السابق وكان يسمى العاص بن ربيعة وكـان متزوجاً من ابنة النبى السيدة زينب رضى الله عنها ولما هاجرت إلـــى المدينة وظل على كفره فرّق الإسلام بينهما فكان على رأس قافلة كبيرة للتجارة لقبيلة قريش إلى بلاد الشام وبينما هو عائد بالتجارة وقد عـــادت بربح وفير شرح الله صدره للإسلام وهو قريب من المدينة فهمس فـــى أذنه بعض المرجفين من ضعاف النفوس وقالوا له ما دمت قد أســـلمت فلا ترد لقريش هذا المال واعطه لإخوانك من المهاجرين تعويضاً لـــهم عن المال الذى أخذه منهم الكافرون فى مكة لكنه قال له : بئـــس مـــا نصحتنى به يا أخا الإسلام أتريد أن أبدأ عهدى مـــع الله عـــز وجـــل بالخيانة؟ لا يكون ذلك أبداً لابد أن أبدأ عهدى مع الله بالأمانـــة فذهـــب إلى مكة ووزع الأموال على أصحابها وقال يا أهل مكـــة يـــا معشـــر

---

[1] رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان والبيهقى عن أنس.

قريش هل بقى لأحد منكم شئ عندى؟ قالوا لا وجزاك الله خيراً قال : أشهدكم أنى أسلمت وآمنت بالله رباً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً وذهب إليهم فى دارهم ولم يخش أن يقتلوه أو يحبسوه ويسجونه لأنه يريد أن يقدم لهم القيمة ويثبت لهم القيم الإيمانية.

دين القيم الفاضلة

لأن ديننا يرسى القيم الفاضلة وهى أحرص ما يحرص عليه الإسلام. فليس الإسلام يا أبنائى دين شعارات وليس الإسلام دين عبادات مبتورة عن الأخلاق والمعاملات وإنما الإسلام دين متكامل يكمل بعضه بعضاً، فإذا كان الإنسان يحافظ على الصلوات المفروضات فى أوقاتهن لكنه لا يراعى القيم الإسلامية فى تعامله مع الخلق فدينه فيه نقص وهذا ما نسميه التدين المنقوص أى غير كامل. قيل: يا رسول الله إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار ولكنها تؤذى جيرانها فقال : **(لا خير فيها هى فى النار)** لأن الإسلام كل متكامل فيطلب من المؤمن أن يعطى الله حقه ويعطى لجسمه حقه ويعطى لأهله حقهم ويعطى لمجتمعه حقه ويعطى لذوى رحمه حقهم ويعطى لأصدقائه حقهم ويعطى للكبير حقه وللصغير حقه ويقوم بكل الحقوق التى أوجبها عليه الدين كما أمر الله وكما وضح رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الإيمان والمبدأ

هذا الدين يجعل المؤمن أهم ما يحرص عليه هـذه المثـل وهـذه المبادئ لأن الإنسان يحيا فى سبيل هذا المبدأ وقد قال الله عز وجل فـى هؤلاء القوم ﴿ **فسوف يأتى الله بقوم يحبـهم ويحبونـه أذلـة علـى المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فـى سـبيل الله ولا يخـافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم** ﴾ [الآيـة: ٥٤، المائدة] وهذا الصحابى الجليل صهيب الرومى لما وجد أن الكفـار يضيقون عليه ليترك الإسلام ويرجع إلى الكفر ولا يستطيع ذلـك لأن بشاشة الإيمان خالطت شغاف قلبه استخار الله عز وجل وهاجر فتبعـوه بكثرة وبكتيبة مجهزة مدربة مدججة بالسلاح ليسـتعيدوه رغمـاً عنـه وليس معه إلا سيفه ورمحه وقوسه وإيمانه بربه فوقـف علـى رابيـة مرتفعة وقال يا معشر قريش وهو فرد وهم كتيبة تعلمـون أنـى مـن أرماكم رجلاً والله لن تصلوا إلى حتى تنتهى السهام التى فى كنـانتى (الكنانة هى الوعاء الذى يحفظ فيه السهام) ثم أقاتلكم بسيفى ثم قـال : هل أدلكم على خير من هذا؟ قالوا: وما هو؟ قال أدلكـم علـى مـالى فتأخذونه وتتركونى أهاجر بدينى إلى ربى عز وجل. قالوا: دلنا عليـه فاشترى نفسه منهم بماله فآثر مبدأه على مالـه وآثـر قيمـه الخـالدة الإسلامية على هذه الحياة الدنيا لأن الإنسان قيمة ومثل ومبدأ إذا مـات الإنسان يقولون مات فلان إنه كان وفى، مات فلان كان رجلا صادقـا، مات فلان كان رجلا صادق الوعد، مات فلان كـان رجـل الشـهامة

والمروءة لكن إذا مات وعنده مليارات جمعها من الخبائث والغش والخداع يسبونه ويلعنونه ويقولون كان يفعل كذا وكذا وكذا.

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان
فاعمل لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثان

في الحال نزل له وسام عظيم نزل به الأمين جبريل وأمر النبي ﷺ أن يطوقه له في عنقه أمام أصحابه مكتوباً عليه بمداد القدرة النوراني ﴿ **ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد** ﴾ [الآية: ٢٠٧، البقرة] فقال النبي ﷺ عندما رآه: **(ربح البيع أبا يحيى ربح البيع أبا يحيى)**[1] فالهجرة يا شبابنا هي في الحقيقة هجرة في سبيل التمسك بالمثل والمبادئ والقيم الفاضلة التي أمرنا بها الله ونوّه على أهميتها رسول الله ﷺ وقد جعل الله لنا فيها درساً عظيماً لأن من يضحي بالدنيا في سبيل الحفاظ على المثل والمبادئ والقيم لابد أن يذلل له ويسخر له الله كل ما في الدنيا كما صنع مع حبيبه ومصطفاه ومع أصحابه من الأنصار والمهاجرين رضي الله عز وجل عنهم أجمعين فقد ضحوا في سبيل المبدأ لأن الإيمان عندهم إيمان صادق فكانت النتيجة أن أقام الله لهم دولة وكسب الإسلام بهم جولة وصار لهم في عالم الناس كله صولة وقذف الله الرعب منهم في قلوب أعدائهم مع أنهم لا يملكون تكنولوجيا تناسب

---

[1] رواه ابن سعد والحارث وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو نعيم.

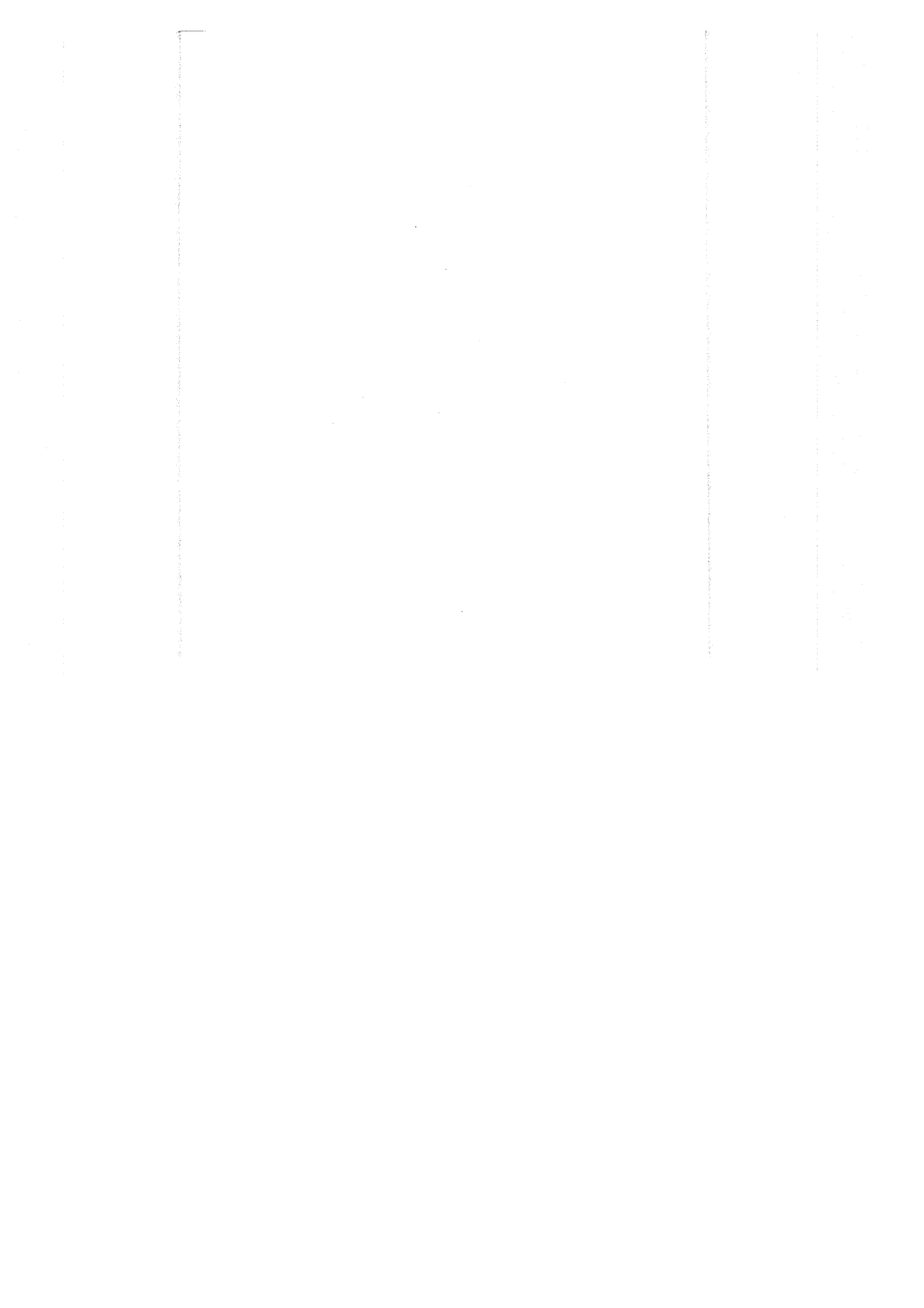
العصر الذى كانوا فيه فقد كانت أسلحتهم بدائية بالنسبة للأسلحة الرهيبة عند الروم وعند الفرس وقوتهم العددية لا تقف أمامهم وأبدانهم ضعيفة ولكن إيمانهم صلب وصلد وقوى. هجرة النبى ﷺ ونحن نتذكرها الآن نحتاج من شبابنا أن يتذكروا المفتاح الذى فتح الله به على المسلمين فى العالم أجمع المثل والمبادئ والأخلاق الفاضلة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الرابع

من دروس الإسراء والمعراج للشباب
الصبر والدعاء

- ردا‌ء الصبر.
- عكوف السر على حضرة الله.
- فوائد الدعاء الصحية والنفسية.
- كمال أخلاق المؤمنين.
- خطة القرآن لتحرير بيت المقدس.



من دروس الإسراء والمعراج للشباب الصبر والدعاء(*)

الحمد لله الذى أنعم على الإنسان وكرمه على كل الكائنات التى خلقها الرحمن وجمع فيه كل الصفات الربانية وكل الإبداعات الإلهية وجعله خليفة عن حضرته فى الأرض.

والصلاة والسلام على مفتاح العلوم وسر كل الفهوم سيدنا محمد بن عبد الله الذى علمه الله وخصه واصطفاه بما لم يعطه لأحد من رسل الله أجمعين وبعد.

أيها الحضور..

الحمد لله أن أغلبكم يعرف جيدا قصة الإسراء والمعراج من البداية إلى النهاية ولذلك لن نحكى القصة لأنها معلومة فى صدوركم من قبل وقد من الله عز وجل عليكم فجعلكم من خير طائفتين يعرفون الله عز وجل وقال فيهما فى القرآن الكريم ﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق** ﴾ وهؤلاء علماء الفضاء والفلك ﴿ **وفى أنفسهم** ﴾ وهؤلاء الأطباء ﴿ **حتى يتبين لهم أنه الحق** ﴾ [الآية: ٥٣، فصلت] فخير من يهتدى بعلمه الدنيوى إلى الله رجال الفضاء والفلك لأنهم يشاهدون من الظواهر الجوية ما يعجز كل ما وصلت إليه العلوم البشرية والأطباء

(*) كانت هذه الندوة بكلية الطب ببنها محافظة القليوبية بتاريخ ٢٧ رجب ١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠٠/١٠/٢٥م.

الذين يشاهدون فى تشريح الإنسان ووظائف الأعضاء ما بـــه يعلمـــون قدرة مبدع الأشياء عز وجل هذه الحادثة سنأخذ فيها رزازا قليلا مـــن قـــول رب العزة عز شأنه ﴿ **لقد كان فى قصصـــهم عـــبرة لأولـــى الألباب** ﴾ [الآية: ١١١، يوسف] فنأخذ العبرة مـــن هـــذه القصـــة ولا نستطيع لضيق الوقت ولكثرة مشاغلكم ومشاغلنا أن نأتى بكـــل العـــبر ولكن حسبنا أن نقف على بعضها فى هذا الوقت القصير.

رداء الصبر

فالرسول ﷺ دعا أهل مكة إلى الإسلام فلم يستجب له منـــهم إلا القليل ولم ييأس وتحمل آذاهم وهو يدعوهم متجملا بخلق الصـــبر لأن الصبر هو العدة الأولى التى يعتمد عليها أى إنسان يريد أن يبلغ منـــاه كما قال الله عز شأنه ﴿**وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صـــبروا**﴾ [الآية: ٢٤، السجدة] فالصبر هو الخلق الأول الذى يحتاج إليه الإنســـان ليواجه كل ضروب الحياة ولذا قال ﷺ : **(الصبر من الإيمان بمنزلـــة الروح من الجسد)**[١] يعنى كما أن الجسد لا يستغنى عن الروح فكذلـــك المؤمن لا يستغنى عن الصبر وهذه أول عظة نستفيدها فى حياتنا فـــى قصة الإسراء من نبينا صلوات الله وسلامه عليه فإننـــا خاصة ونحـــن فى مقتبل العمر يدور فى أذهان شبابنا طموحات كبيرة وأمنيات كثـــيرة

[١] رواه ابن حبان وابن عساكر والبيهقى عن على وابن أبى شيبة والديلمـــى فـــى الفردوس عن أنس.

قد يضيق الزمن عن تحقيقها وقد لا يُسعف المال بتحقيقها فما علينا إلا أن نتدثّر برداء الصبر ولا نتعجل فى تحقيق الرغبات بما يخالف الشرع وهذه أكبر آفة فى مجتمعنا الآن فإن الناس نظراً لكثرة متطلبات الحياة لا تكفى دخولهم الحلال لتحقيق ما يطمحون إليه فيلجأون إلى أبواب الحرام وطرق الكسب غير المشروع ليحصلوا على الأموال التى يُلبون بها طلباتهم فيخسرون الدنيا والآخرة لأنهم خالفوا شرع الله عز وجل ذهب النبى ﷺ إلى الطائف لما يأس من أهل مكة ولم ينطوى على نفسه ولم تنتابه العقد النفسية أو الأحوال العصبية أو المرضية لأنه مجمل بروح الله وإذا يأس من قوم ذهب إلى آخرين وتلك حكمة النبيين والمرسلين.

عكوف السر على حضرة الله

فذهب إلى أهل الطائف ودعاهم إلى الإسلام ولكنهم كذبوه ولم يكتفوا بذلك بل آذوه فسلطوا عبيدهم وصبيانهم يحفّون به عند مسيره من كل الجهات منهم من يقذفه فى قدميه بالحجارة ومنهم من ينهشه بلسانه بسبّ أو شتم أو تجريح ما المخرج؟ هنا يعلمنا الله عز وجل درساً عملياً ودرساً إيمانياً نحتاج إليه جميعاً فى كل لحظات حياتنا أن الإنسان إذا ضاقت به الأمور وانقلبت عليه الخطوب ماذا يفعل؟ يرجع إلى الله ويفزع إلى مولاه فقد قال عز شأنه ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ [الآيتان: ٢-٣، الطلاق] وهذا

الباب هو الذى يحفظ التوازن لعباد الله المؤمنين فتقل بينهم نسبة الأمراض العصبية والآفات النفسية والحوادث الانتحارية لأن المرء عندما يرجع إلى الله ويفرغ الشحنة التى ضاق بها صدره إلى الله فإن الله يتنزل عليه بالسكينة والطمأنينة ويهدئ روعه ويسكن جأشه ويثبت نفسه ويجعله يتحمل الصعاب بنفس راضية أما غير المؤمنين فإن أكبر دول يتمتع أهلها بالحضارة المادية الدول الاسكندنافية (السويد، والنرويج، والدانمارك) هذه الدول لا يحس المرء فيها بأى مشكلات حياتية من جهة العمل أو السكن أو وسائل المواصلات أو أى أمر يحتاجه المرء فى دنياه لكن الإحصاءات التى تجريها المنظمات العالمية تثبت أنها أعلى دول فى العالم فى الأمراض النفسية والعصبية وحوادث الانتحار لماذا؟ لأنهم عندهم جفاف روحانى وليس لهم طريق إيمانى يلجأون إليه عند المصائب فإذا نزلت به مصيبة أو حل به كرب ماذا يفعل؟ يذهب ليحتسى الخمر حتى ينسى هذا الأمر فينشغل لحظات ثم يرجع إلى صحوه ويجد الهم ملازما له كما هو فيلجأ إلى الإفراط فى تناول المهدئات أو إلى تناول المسكنات وإذا يأس يلجأ إلى الانتحار لينهى حياته غير محزون عليها أما المؤمنون حتى الجاهلون والأميون فإن الإيمان فى قلوبهم يحفظهم من هذه المحن ويثبتهم عند نزول المصائب.

فوائد الدعاء الصحية والنفسية

فلجأ النبى ﷺ إلى الله وعلمنا بالدعاء أن الدعاء ينفس عن المكروب ويفرج عن المحزون وقال فى دعاءه الوارد : **(اللهم إنى**

أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى علـــى النـــاس أنـــت رب المستضعفين وأنت ربى إن لم يكن بك غضب على فلا أبـــالى ولكـــن عافيتك أوسع لى. أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات وصلـــح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو يحل على ســـخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بـــك)[1] فالدعـــاء يخفـــف الأحزان ويفرغ الشحنة التى تثقل صـــدر الإنســـان وتجعلـــه مـــهموما مغموما فى حياته والمرء منا إذا تعب من أمر لا يرتاح حتـــى يفـــرغ الشحنة فيحكيها قد يحكيها لزميل وقد يحكيها لصديق لكنه لا يـــأمن إذا حكاها لزميل أو صديق أن يفشى سره فيسبب له مشاكل هذا إلى جـــانب ماذا يفعل الصديق أو الزميل فى الكربات العظام لكنه إذا لجأ إلـــى الله وبثه همه وشكواه فرج الله عنه فى الحال ولذلك قالت الســـيدة عائشـــة رضى الله عنها وأرضاها **(كان ﷺ إذا حزبه** ـــ يعنى أهمـــه ـــ **أمـــر فزع إلى الصلاة)** يعنى لجأ إلى الصلاة والصلاة دعـــاء ينـــاجى فيـــه الإنسان الله ويحدثه بما فى قلبه أو فى نفسه فيفرج عنه الله عز وجـــل دعا النبى ﷺ ربه فاستجاب له فى الحال الله عز وجل ونـــزل عليـــه الأمين جبريل ومعه ملك وقال له : يا محمد هذا ملك الجبال لم يـــنزل إلى الأرض قبل اليوم فمره بما شئت فقال ملك الجبال : يا رســـول الله مرنى بما شئت فأنا طوع أمرك إن شئت أطبقـــت عليـــهم الأخشـــبين والأخشبين الجبلين المحيطين بمكة.

---

[1] رواه الطبرانى وابن اسحاق عن عبدالله بن جعفر.

كمال أخلاق المؤمنين

وهنا يعلمنا النبى الكريم ماذا يجب أن يكون عليه كل مسلم من الخلق العظيم فالمسلم لا ينتقم ممن عاداه بل يعفو ويصفح إذا مكنه الله عز وجل منه تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم فالمؤمنون هم المعنيون بقول الله ﴿ **والكاظمين الغيظ** ﴾ وهذه هى الدرجة الدنيا ﴿ **والعافين عن الناس** ﴾ وهذه هى الدرجة الوسطى ﴿ **والله يحب المحسنين** ﴾ [الآية: ١٣٤، آل عمران] وهذه هى الدرجة العليا فأقل المؤمنين من يكظم غيظه ولا يشفى غيظه فى مؤمن أو مسلم لأن المؤمنين أخوة كما قال الله عز وجل فى شأنهم ﴿ **أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾ [الآية: ٢٩، الفتح] ينفذ غيظه فى الكافرين والجاحدين والمشركين لكن لا ينفذه فى إخوانه المؤمنين ولذا جعل الله عز وجل المؤمنين إخوة ﴿ **إنما المؤمنون أخوة** ﴾ [الآية: ١٠، الحجرات] وبين النبى حقيقة المسلم فقال عن المسلم : **(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)**[1] وخرج المسلم الذى يتظاهر بالإسلام ولسانه لا يكف عن الآثام من المعية المحمدية وقال فيه : **(ليس المؤمن بسباب ولا لعان ولا فاحش ولا بذئ)**[2] وإنما سمة المؤمنين كما قال رب العالمين ﴿ **وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد** ﴾ [الآية: ٢٤، الحج] فالرسول ﷺ رغم أن الكفار أغاظوه وأذوه إلا أنه قال

---

[1] رواه مسلم والبخارى وأحمد عن جابر.

[2] رواه أحمد والبخارى فى الأدب وابن حبان والحاكم عن ابن مسعود.

لملك الجبال : (**إنما أرسلت رحمة إنى أرجو أن يخرج الله عز وجـــل من أصلابهم من يوحد الله عز وجل**)[1].

خطة القرآن لتحرير بيت المقدس

وهكذا فالعبر فى الإسراء والمعراج كثيرة وأبرزها حتى لا أطيـل عليكم أن النبى ﷺ لم يأخذه الله من بيت الله الحرام إلى السماء مباشـرة وإنما أخذه أولا إلى بيت المقدس مع أن بيت المقدس كان قبلة الأنبيــاء السابقين ليعلن للمسلمين أن هذا البيت بيت للمؤمنين يجــب عليــهم أن يحافظوا عليه ويقوموا بحمايته فى كل وقت وحين ولكن ما الوسيلة إلى ذلك؟ المنهج القرآنى الذى جعله الله لكل عدو للمؤمنين ما هو يــارب؟ ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عــدو الله وعدوكم** ﴾ [الآية: ٦٠، الأنفال] فنعد لهم العلم وقوة السلاح وقــوة الرجال أى القوة المعنوية والقوة الاقتصادية ثم بعد ذلك نستعين بـــرب البرية فيحقق الله لنا ما نريد ﴿ **وكان حقا علينا نصـــر المؤمنيــن** ﴾ [الآية: ٤٧، الروم] صحيح أن المظاهرات تعبر عما يجيش فى النفــس وتخرج الشحنة الدفينة فى النفس لكنها ليست بالسلاح الذى يحرر البلاد المقدسة السلاح كما قال الله ﴿ **فإذا جاء وعد أولهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد** ﴾ [الآية: ٥، الإسراء] لابد أن يكون هؤلاء العبـاد معهم بأس شديد علم وسلاح ورهبة واقتصاد وتخطيط يســـتطيعون أن

---

[1] رواه البخارى ومسلم وأحمد والبزار عن عائشة.

يحققون به ما يريده الله عز وجل لبلادنا فى القدس وفلسطين فـــإن لـــم نستطع فعلينا أن نقف وقفة مع النفس نصلح أحوالنا بأن نصلح جبـــهتنا الداخلية ونوحد أولا قلوبنا ونفوسنا على الله ونعين بعضنا على العمـــل بشرع الله ونتماسك سويا ونمد إخواننا المجاهدين بما نستطيع من المـــال ومن العتاد إذا استطعنا إلى ذلك سبيلا لكن الإسلام لا يرضى بالتـــهور والطيش وما يحدثه الغوغاء فى إخوانهم المسلمين مثل الشـــباب الـــذى يخرج ويحطم سيارات المسلمين وهل هذا يحل القضية؟ أو يشعل النـــار فى محال المؤمنين وهل هذا يحرر فلسطين؟ إن الطريق إلـــى تحريـــر فلسطين هو الطريق الذى وضحه القرآن وبينه النبى العدنان وإن كـــان رسولنا الكريم بشرنا فى سنته بأن الله عز وجل سيحرر تلـــك البـــلاد وقال فى الحديث الصحيح الذى رواه الإمام البخارى ومسلم **(تقـــاتلون اليهود حتى يختبأ أحدهم وراء الحجر فينطق الحجر ويقول يا عبد الله ورائى يهودى فاقتله)** هذا سيحدث لعباد الله المسلمين بالعلم والســـلاح والمال والعمل بشرع الله عز وجل ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم ويثبـــت أقدامكم** ﴾ [الآية: ٧، محمد] واكتفى بهذا القدر خوفـــا مـــن الإطالـــة ولنسمح لبعض الأسئلة التى تجول بخاطركم[١].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

[٢] ذكرت هذه الأسئلة فى كتابنا (فتاوى جامعة للشباب).

الفصل الخامس
ملكية المال فى الإسـلام

ـ اهتمام الإسلام بالمال.
ـ التجربة الاقتصادية الإسلامية.
ـ النظرية المالية الإسلامية.
ـ طرق الكسب فى الإسلام.
ـ مجالات العمل المباح فى الإسلام.
ـ الاستثمار الزراعى فى الإسلام.
ـ طرق الاستثمار فى الزراعة.
ـ الاستثمار الصناعى فى الإسلام.
ـ ضمانات الصناعة الإسلامية.
ـ استثمار المال فى التجارة فى الإسلام.
ـ منع الغش.
ـ الإعلان الإسلامى للسلع.
ـ النهى عن الاحتكار.
ـ ما لا يباح الاتجار فيه.
ـ استثمار المال مع الغير.



ملكية المال فى الإسلام(*)

الحمد لله والصلاة والسلام على نبى الله ومصطفاه سيدنا محمد وآله وصحبه وكل من اتبع هداه.

وبعد..

فى البداية أتقدم بوافر الشكر للسيد الدكتور عميد الكلية الأستاذ/ حامد طلبة على رعايته لهذه الندوات وتقديمه كل شئ فى سبيل إقامتها وتذليل الصعاب للعمل فيها وأشكر أيضا السادة الدكاترة أعضاء هيئة التدريس والأخوة والأخوات الطلبة والطالبات الذين استحثهم الدين وروح الإيمان على الاستزادة من تعاليم دين الإسلام. وفى الحقيقة السيد الدكتور العميد غطى موضوع الندوة من كل اتجاهاته فالإسلام يجعل المال عصب الحياة وربما أشاع البعض أن الدين الإسلامى يدعو إلى السلبية والانعزالية والتواكل والتراخى وأشاع أعداء الإسلام هذا المفهوم بيننا وفى دول الغرب حتى أصبح سمة فى وسائل إعلامهم فمسلم يعنى متكاسل وغير منتج ومتراخى وأحيانا كلمة مسلم عندهم تعنى متسول ويصورون المتسولون عندنا وينشرونهم فى صحفهم ويقولون هذا هو الإسلام بينما الإسلام دين يهتم بالحياة فى دقائقها وكل

(*) كانت هذه الندوة بكلية التجارة ببنها يوم السبت ١٨ من شعبان ١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠٠/١١/١٨.

صغائرها فما من شأن فى حياة الإنسان صغيرا أو كبيرا إلا وقننه ووضع له الضوابط القرآنية الله عز وجل.

اهتمام الإسلام بالمال

والدليل على اهتمام الإسلام بالمال واستثماره أن الرسول ﷺ عندما هاجر من مكة إلى المدينة وكان اليهود يسكنون بها واليهود كما تعلمون قوم يقول فيهم رب العزة ﴿ **ولتجدنهم أحرص الناس على حياة** ﴾ [الآية: ٩٦، البقرة] فهم أمهر من يستثمر الأموال ويقتنصها بأساليب يعرفونها جيدا فوجد ﷺ أن المال فى المدينة مركز فى أيدى اليهود والتجارة الرئيسية فى المدينة تجارة الذهب وتجارة السلاح ولا يوجد فيها تاجر واحد غير يهودى بل وجد السوق الذى تجلب له البضائع من خارج المدينة من اليمن وفارس والشام ويباع فيه لأهل المدينة قائم على اليهود فهم الذين يجلبون البضائع يعنى يستوردونها بلغة العصر أى يحضرونها وهم الذين يقومون ببيعها وكوسيلتهم التى يسيطرون بها على الشعوب، من ليس معه الثمن نقدا يعطونه بالأجل حتى يتحكمون فى مصيره ويكون تحت سيطرتهم وهيمنتهم فأول قرار اتخذه رسول الله ﷺ فى المدينة بعد بناء المسجد وكان أول قرار صدر من الحضرة المحمدية بناء المسجد أما القرار الثانى فبناء سوق للمسلمين فأمر أن يكون هناك سوقا مخصوصا واستغل فى ذلك مهارة المهاجرين وهم أهل مكة فى التجارة فى البيع والشراء واستغل هذه

الخبرة فى صفوف المسلمين وأمرهم بأن يتاجروا فكان هذا السوق أول عمل عمله ﷺ ليخلص المدينة من سيطرة اليهود ثم يخلصها نهائيا من اليهود بدأ معهم بالتدرج فاستولوا على التجارة وأصبح المؤمنون يتاجرون ويذهبون إلى بلاد الشام وإلى بلاد اليمن وإلى بلاد فارس ويحضرون البضائع ويبيعونها بالأسس والتشريعات والقوانين الإسلامية مما أدى إلى كساد الحياة التجارية عند اليهود لأن القوانين والتشريعات الإسلامية فى البيع والشراء تسهل للإنسان ولا تضع غل الربا فى عنقه وتجعل المرء دائما وأبدا يرتاح لهذا التعامل الطيب من هنا جعل نبينا ﷺ المال عصب الحياة وجعل له فى الإسلام نظرية اقتصادية إسلامية كاملة الملامح كلها من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ فالقوانين الأصلية فى القرآن والشروح والحواشى والمذكرة التفسيرية فى سنة النبى العدنان ﷺ والتفصيل على حسب كل زمان من العلماء المجتهدين الفقهاء فى الإسلام.

التجربة الاقتصادية الإسلامية

قد يقول البعض لم نر ولم نسمع عن التجربة الاقتصادية الإسلامية وعن مدى نجاحها حتى نطبقها فى حياتنا أقول لن أعطى أمثلة متعددة حتى لا أطيل عليكم ولكن أعطى مثالا واحدا أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز تولى الحكم لمدة سنتين وستة اشهر يعنى لم يكمل خطة خمسية ونفذ القوانين والتعاليم والتشريعات الإسلامية ماذا

كانت النتيجة؟ فاض المال حتى أن وزير المالية وكـــــان يســـمى فـــى عصره خازن بيت المال شكى له من ضيق بيت المال من كثرة ما فيـــه من سيولة ومن كثرة الأموال فأحضر المخططين والمشرعين وســـألهم ماذا نصنع بهذا المال؟ ففكروا فى المشاكل التى يعانى منـــها المجتمـــع ليحلوها مشكلة تلو المشكلة، أول مشكلة واجهتـــهم مشـــكلة الأميـــة إن أغلب طبقات الشعب لا تستطيع القراءة والكتابة وهى القضية التى نريد أن ننتهى منها الآن فى القرن العشرين ولم ننجح بعد وقد انتهى منـــــها فى سنة واحدة حيث عين كتابا فى كل دور العبادة وأعطـــاهم الألـــواح وكانت الكتابة على الألواح والمواد التى يكتبون بـــها وجعـــل أجرهـــم وطلباتهم كلها من بيت المال ولذلك أحصى رجال التاريخ أن العصـــــر الوحيد الذى قضى فيه على أمية النساء والرجال هو عصـــــر الخليفـــة عمر بن عبدالعزيز وبعد أن انتهى من مشكلة الأميـــــة وجـــد فائضـــا وسيولة فى بيت المال ماذا يصنع بها؟ أصلح الطرق ومـــهدها وجعـــل على كل مرحلة من الطريق بيتا سماه بيت الضيافة لأن السفر كان بـــرا وعلى ظهور الجمال أو الخيل أو ما شابه ذلك فكـــان يســـتغرق وقتـــا طويلا بين البلدان المتنوعة فجعل على كل مرحلـــة مـــن الطريـــق ـــ قدرها العلماء بما يوازى خمسون كيلو متر فى عصرنا لأنـــهم كـــانوا يستخدمون الميـــل والميل تقريبا اثنين كيلو إلا ربع ـــ بيتـــا للضيافـــة جهزه وجعل فيه أماكن للنوم ومطبخا يطهى فيه الطعام وطاهيا يطـــهى

الطعام والنفقة كلها على بيت مال المسلمين فإذا تعب المسافر يدخل إلى بيت الضيافة فيجد الطعام مجانا ويجد مكان الراحة جاهزا ومن العجب أنه جعل هناك علفا للدواب فيجد العلف جاهزا أيضا على نفقة بيت مال المسلمين وبعد ذلك وجد فائضا وسيولة فى بيت المال ماذا يصنع؟ أمر ولاته وحكام الأقاليم أن يزوجوا شباب المسلمين على نفقة بيت المال فالشاب ما عليه إلا أن يختار الفتاة التى تروقه ثم يبدى رغبته للوالى أنه يريد الزواج من فلانة ويقوم بيت المال بتجهيز بيت الزوجية بحسب ما يحتاج إليه فى عصره ولا يدفع الشاب آجلا أو عاجلا شيئا فى ذلك فاستطاع فى هذا الزمن القصير أن يحل كل مشاكل الدولة لأنه اتبع النظرية الإسلامية السليمة فى كل عصر.

النظرية المالية الإسلامية

هذه النظرية الإسلامية تقوم على عدة أسس قرآنية تنقسم إلى شقين اكتساب المال وإنفاقه فالإسلام أباح اكتساب المال ولكنه رشده وأباح استثمار المال فى أى مجال على أن يطابق شرع الله عز وجل والنصوص التى تتكلم عن هذا الأمر كثيرة وكثيرة أولها قول الله عز وجل ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم** ﴾ [الآية: ٦٧، البقرة] إذن لابد أن يكون الكسب من طريق طيب والطرق الطيبة للكسب التى بينها الإسلام وأسوقها على عجالة سريعة.

طرق الكسب فى الإسلام

١ – العمـــل

فالإسلام دين العمل ووضع الإسلام ضابطا لا يصلح العمل فـــى أى زمان أو مكان بغيره وهو قوله عز شأنه ﴿ **وقل اعملـــوا** ﴾ مـــن الذى يراقبكم؟ ﴿ **فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنـــون** ﴾ [الآيـــة: ١٠٥، التوبة] إذا وجدت هذه الرقابة الذاتية الداخلية صلحـــت جميـــع الأعمال وإذا فقدت هذه الرقابة الذاتية الإيمانية لا نستطيع أن ننجح فـــى أى عمل مهما شرعنا من تشريعات ومـــهما برعنـــا فـــى التوصيـــات والتوجيهات ومهما شـــددنا فى أجهزة الرقابة على مختلف الجـــهات إن لم يكن الرقيب على المرء إيمانه وربه عز وجـــل فإنـــه يســـتطيع أن يتحايل على كل أمر وأنتم ترون جميعا أن الدولة تشرع ولكـــن عندنـــا خبراء متخصصين فى تفصيل القوانين على حسب ما يريـــدون إذن لا يضبط العمل إلا الرقابة الداخلية لله عز وجل بأن يكون العمل لله هـــذا الكسب راعى فيه الإسلام عدة أمور أولا جعل المال والخـــيرات كلـــها ملك لله ﴿ **وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** ﴾ [الآية: ٧، الحديد] هذا أمر طبيعى أن الإنسان يموت ويتركه ومعنى أن المال لله أى أن هـــذا المال وسيلة وليست غاية وهذا أساس من أسس النظريـــة الإســـلامية فالمال وسيلة لحصول المرء على ما يريده فى الدنيا ولاكتساب الســـعادة التى يرجوها فى الدار الآخرة فإذا كان المال وسيلة وليس غايـــة كمـــا يفعل الآخرون فإن هذا يجعل المؤمن يراقب فى جمعـــه وفـــى إنفاقـــه

شرع الله وسنة رسول الله ﷺ والإسلام كذلك جعل المجتمــــع وحـــدة واحدة وكل فرد فى الجماعة يسعى لراحتها ومنفعتها وإصلاحها فبـــدد مبدأ الأنانية ومبدأ الأثرة ومبدأ الشح والبخل لأنه جعل المجتمــع كلــه وحدة واحدة ومن هنا كان الذى يجمع المال أو يقوم بالكســب لابــد أن يراعى المجتمع فلا يكسب شيئا يتنافى عمله مع تقـــاليد المجتمــع ولا يستثمر ماله فى شئ يتحقق أن فيه ضر للمجتمع وأنه يسعى لخير هــذا المجتمع فيراعى أن يكون استثماره مطابقا لعادات وأعــراف وتقــاليد وشرع المجتمع الذى يعيش فيه حتى يكون إنسانا نافعا لنفســه ووطنــه ومجتمعه وبنى جنسه أوجب الإسلام بعد ذلك على المؤمن الذى يكسـب المال أمور إسلامية فى تحصيله وأمور إسلامية فـــى اســتثماره لكــى يحصل المال بين له السبل فالعمل أولها ثم بعد ذلك بعد العمــل عليــه استثمار المال فى الجهات التى سنحددها فيما بعد.

٢- الميراث

الطريقة الثانية لكسب المال من طريق حلال غير العمل المـــيراث فالمال الذى يأتى عن طريق الميراث مال أحلـــه الله علـــى أن يكـــون الميراث مطابقا لكتاب الله وشـــــرع الله وأظـــن أن نظـــام المـــيراث الإسلامى خير ضامن يحفظ التـــوازن المـــالى الاجتمـــاعى فالقـــانون الإنجليزى مثلا يجعل التركة كلها للإبن الأكبر حتى لا تتفتــت الــثروة فيظل الغنى غنى والفقير فقير لكن النظام الإسلامى يجعل الكل يشــترك فى هــذا الميراث فيجعل المال دائما فى حالة تـــوازن بيـــن طبقـــات

المجتمع صحيح أنه يحصله بغير حد أقصى لكنه لا يستطيع أن يوزعه حتى صاحبه إلا فى حدود.

٣- الوصية

وهذه الحدود هى الطريقة الثالثة لكسب المال فى الإسلام وهى الوصية فقد أعطى الإسلام لصاحب المال الحق فى أن يوصى بجزء من ماله على ألا يزيد عن الثلث هذا شرط والشرط الثانى أن تكون الوصية بنية فيها خير فإذا كانت الوصية يقصد بها الضرر بالورثة وعدم حصولهم على حقوقهم يجعلها الإسلام وصية جائرة لا تنفذ فالوصية هى الأمر الثالث الذى كسبه حلال فى الإسلام.

٤- الهبة

الأمر الربع: الهبة. والهبة هى ما نسميه التبرع أن يتبرع المرء بشئ مما يملكه لإنسان رغبة فى نفعه أو رغبة فى رضاء ربه أو لأى نية صالحة هذه هى الطرق التى جعلها الإسلام لكسب المال ثم نعود إلى الطريق الأول وهو الذى يحتاج إلى تفصيل وهو العمل.

مجالات العمل المباح فى الإسلام

فالعمل الذى أباحه الإسلام هو العمل فى المجالات المتعارفة وأن يكون هذا العمل كاستثمار إما أن يقوم به الفرد فى نفسه وإما أن يوكل فيه غيره وإما أن يشترك مع غيره فالعمل الذى يقوم به الإنسان فى

نفسه كالزراعة، الصناعة، التجارة وهـــذه الأمـــور حددهـــا الإســـلام بضوابط إسلامية.

الاستثمار الزراعى فى الإسلام

ففى الزراعة أباح للمؤمن أن يأخذ الأرض الميتة علـــى أن يقـــوم بزراعتها فقد قال ﷺ : **(من أحيا أرضا ميتة فهى له وليس لمحتجـــر حقا بعد ثلاث)**[1] فنحن نمر أحيانا على بعـــض الطـــرق الصحراويـــة كطريق الإسماعيلية الذى يصل بين القاهرة وبورســـعيد ونجـــد كلمـــا نمشى لافتة مكتوبا عليها مزرعة فلان وهى أرض عليها سور وغـــير مزروعة، الإسلام جعل هذه الأرض من حق المسلم أن يقتطعها ومـــن حق الحاكم أن يقطعها له على أن ينظره ثـــلاث ســـنوات لإصلاحـــها واستثمارها وزراعتها فإذا تركها فعلـــى الحـــاكم أن يصادرهـــا منـــه ويعطيها لغيره لأن الإسلام يرغب فـــى الاســـتثمار والاســـتثمار فـــى الإسلام حر ولكن الإسلام أمر ولاة الأمر أن يتدخلوا لتوجيهه إذا لـــزم الأمر كما رأينا فى ذلك فالحرية فى الإســـلام مكفولـــة لكـــل فـــرد أن يستثمر ماله كيف يشاء على ألا يضر أحدا وعلى أن يكون وفق شـــرع الواحد الأحد عز وجل، الناحية الثانية فى مجال الزراعـــة ألا يـــزرع شيئا يضر الأبدان أو نهى عنـــه الإســـلام كمـــن يـــزرع المخـــدرات

[1] رواه أحمد والنسائى وابن حبان والترمذى والضياء عن جابر.

والمسكرات وكمن يزرع الأرض بالمحظورات التى كبدت شعبنا فى هذا العصر الأمراض الفظيعة والمنتشرة كمن يغذى الفواكه والخضراوات بالهرمونات أو يكثف لها المبيدات فيأكلها الإنسان فيجدها تنخر فى داخل الأبدان وهذا مخالف لشرع الديان عز وجل لأن المسلم ينتج لمجتمعه ولا ينتج لنفع نفسه فقط فلابد أن يكون هذا الإنتاج يلائم هذا المجتمع صحيا وعقليا ونفسيا وعقائديا ودينيا وعرفا واجتماعيا هذه هى الضوابط الإسلامية.

طرق الاستثمار فى الزراعة

فاستصلاح الأرض وزراعة الأرض من أفضل الاستثمارات التى حرص عليها شرعنا وديننا الحنيف وجعل طرق الاستثمار فى الزراعة متنوعة إما أن يزرعها الإنسان بنفسه وإما أن يعطيها لمن يزرعها على أن يكون له نصيب مما يخرج منها، كالنصف أو الثلث على حسب الاتفاق وتسمى (المزارعة)، وإما أن يعطى الشجر لمن يقوم بسقيه نظير نصيب معلوم من ثمرة وتسمى (المساقاة) وإما أن يؤجرها كلها لإنسان ويأخذ منه الإيجار ويتولى هذا الشخص الزراعة ويحصل على المحصول تلك بعض الوسائل للزراعة فى الإسلام.

الوسيلة الثانية للاستثمار هى الصناعة والصناعة من عجيب الأمور أن الإمام الشافعى رضى الله عه وأرضاه جعل أفضل مصرف للزكاة أن نشترى بها وسائل العمل للمحتاجين بعد أن نعلمهم الحرف ونفتح لهم حانوتا يعملون فيه يعنى أعلم المحتاجين حرفا صناعية ثم نجعل لهم دكانا أو حانوتا ونعطيهم العدد والأدوات من الزكاة ونتركهم يستثمرون هذا الأمر وأخذ ذلك من رسول الله ﷺ عندما جاءه سائل وقال : يا رسول الله اعطنى مما أعطاك الله ووجده شابا جلدا قويا فتيا فقال : أما فى بيتك شئ؟ قال : بلى حلس (يعنى كساء البعير) نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب (يعنى كوب) نشرب فيه الماء فقال ائتنى بهما فأتاه بهما فعمل مزادا وقال من يشترى هذين؟ فقال رجل أنا أخذهما بدرهمين ــ ومن هنا مشروعية المزاد فى الإسلام ــ فأعطاهما له وأخذ الدرهمين وقال للرجل اشترى بأحدهما قدوما فأتنى به واشترى بالآخر طعاما فانبذه (يعنى اعطيه) لأهلك فاشترى قدوما فجلس النبى ﷺ بذاته وركب له عودة وقال له اذهب واحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشرة يوما فذهب إلى الغابة يقطع الحطب منها ثم يبيعه فى السوق وجاء بعد الخمس عشرة يوما وقد أصاب عشرة دراهم فلقنه الدرس وقال ﷺ **(هذا خير لك من أن تجيئ المسألة نكته فى وجهك يوم القيامة)** إن المسألة (يعنى سؤالك الناس) لا تصلح إلا لذى فقر

مدقع أو لذى دم موجع (عليه دية كبيرة) أو لذى غرم مفظع (عليه دين كبير يطلب سداده).

ضمانات الصناعة الإسلامية

إذن استثمار المال فى الصناعة فى الإسلام أن تكون هذه الصناعة لا تساعد على نشر الجرائم الاجتماعية أو نشر الإباحية أو تخالف التشريعات الإسلامية فلا يجب على مسلم أن يعمل مصنعا لصنع الخمر ولا يجب على مسلم أن يقيم مصنعا لصنع السلاح ويبيعه لأى أحد ولا يجب على مسلم أن يقيم مصنعا لأى أمر يضر بالمجتمع أو بأفراد المجتمع سواء فى أجسامهم أو فى أخلاقهم أو فى قيمهم أو فى دينهم لأن كل مؤمن جنديا فى هذا المجتمع.

استثمار المال فى التجارة فى الإسلام

أما التجارة فقد قال فيها ﷺ : **(تسعة أعشار الرزق فى التجارة)**[1] وقد كان سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ يدخل السوق ويمتحن التجار يمتحنهم فى فقه البيوع (البيع والشراء) ويقول فى شأنه (من لم يتفقه فى ديننا أكل الربا وهو لا يشعر).

---

[1] رواه سعيد بن منصور عن عبدالرحمن الأزدى.

منع الغش

أحل الإسلام التجارة وجعلها حلالا إذا كانت بالضوابط الإسلامية وأول ضابط فيها منع الغش فقد كان ﷺ يمر في الأسواق ويختبر البضاعة بنفسه ووضع أصبعه مرة فى طعام فوجد بللا فى أسفله فقال ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال أصابته السماء يعنى نزل عليه المطر. قال : **(ألا جعلته فوقه حتى يراه الناس)** وقال : **(من غش أمتى فليس منا)**[1] فنهى عن الغش سواء فى الكيل أو فى الميزان أو فى الصنف بأن يعلن عن صنف جيد ويبيع صنف ردئ وعن الغش فى الثمن كأن يعرف أن الذى أمامه (الزبون) يجهل الثمن فيستغل جهله ويبيع له البضاعة بأكثر من ثمنها أصناف مضاعفة وهذا يسمى الغرر (الغرر يعنى خداع المشترى واستغلال جهالته) فمنع الإسلام الغش بكل أصنافه وبكل أشكاله.

الإعلان الإسلامى للسلع

ولذلك فمن الأمور التى ينبغى أن يراعيها المسلم وهذا أمر ضرورى أن تكون الإعلانات مطابقة جيدا للمواصفات فمعظمنا يغرر به بالإعلانات لأنه يجد أن الإعلان يعطى ميزات لا حد لها ثم يذهب ليشترى السلعة فيجد كل هذه الإعلانات وكل هذه المواصفات غير موجودة فيجب أن يكون هناك تقنين واضح للإعلانات من كل

[1] رواه الطبرانى وأبو نعيم عن ابن مسعود.

الوزارات فلا تسمح وزارة الصحة بعرض إعلان طبـــى إلا إذا كـــان حقيقى ولا تسمح وزارة الصناعة بعرض إعلان أو كتابته على ســـلعة إلا إذا كان مطابقا للمواصفات بحسب مكتب المستشارين والخبراء فـــى الوزارة الذى يتأكد من هذه المواصفات لأن المواطـــن لا يســـتطيع أن يتأكد من كل شئ لأنه لا يعرف كل شئ فالغش بكـــل أصنافـــه منعـــه الإسلام.

النهى عن الاحتكار

والمبدأ الثانى فى التجارة نهى الإسلام عن الاحتكار والاحتكـار أن يشترى المرء السلعة ثم يخزنها إلى وقت الغلاء وينزلها السوق أو كمـا يفعل التجار الآن يجتمعون معا ويتفقون على إخفـاء البضاعـة حتـى يغلو الثمن ثم ينزلونها فى السوق ليربحوا أضعافا مضاعفة والإســـلام فى الحقيقة ليس فيه تســـعير وقد قال ﷺ عندما ســـألوه أن يســـعر : **(لا تسعروا فإن الله هو المسعر القابض الباسط)**[1] لكنـــه أبـــاح لولاة الأمور أن يتدخلوا للتسعير فى حالات الاحتكار أباح لولاه الأمـــور أن يذهبوا إلى مخازن التجار ويسيطروا على البضاعة ويوزعونها بأنفسهم ضمانا لإصلاح حال المجتمع الإسلامى والاحتكار بصفة خاصة يتـــأكد فى المواد الغذائية والمواد الطبية التى لا غنى لأحد فى المجتمع عنـــها وإن كان يعم كل الأحوال الحياتية التى يحتاج إليها المسلم فـــى حياتـــه

---

[1] رواه أحمد والترمذى وأبو داود عن أنس.

وبين الرسول ﷺ خطورة هذا الأمر فقال : **(من احتكر طعامـــا علـــى المسلمين أربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه)** [رواه الإمـــام أحمد فى مسنده] وقال فى حديث آخر : **(المحتكر خاطئ أخطأ طريـــق الجنة)**[1] يعنى لا يدخل الجنة أبدا فنهى الإسلام عن الاحتكـــار ونـــهى الإسلام عما يسمى فى فقه الإسلام النجش والنجش أن يذهب إنسان مـع إنسان آخر ويعرض أن يشترى البضاعة بثمن مبالغ فيه مع أنـــه لـــن يشترى كى يأخذها الزبون بالثمن المرتفع وهو نوع من الغـــش ونـــهى عنه الإسلام يعنى يذهب ليتفق مع التاجر تشترى هذه بكـــم؟ فيقـــول : اشتريها مثلا بخمسين جنيها وهى لا تساوى أكثر من عشـــرين جنيـــها فينخدع الزبون ويشتريها بهذا الثمن المبالغ فيه نهى عن ذلك الإســـلام لأن ديننا يطلب الحد الأوسط والمعتدل فى الربح صحيح أن الربح فـــى الإسلام حر يضع التاجر أى هامش للربح لكن شرطه ألا يستغل حاجـة المجتمع فى هذا الأمر وثانيا أن يكون من يبيع له علـــى علـــم بـــالثمن الحقيقى فلا يستغل جهالته ولذلك نهى الإسلام كذلك عن تلقى التجـــار من الخارج الذين يرخصون الأسعار.. بمعنى عندنا فـــى بنـــها ســـوق يوجد بعض التجار الكبار يسمون (تجار الجملة) يمنعون أهـــل القـــرى الذين معهم البضاعة من دخول السوق ويأخذون منهم البضاعـــة لكـــى يتحكموا فى سعر السوق وقد نهى الإسلام عن ذلـــك وقـــال ﷺ : **(لا**

---

[1] رواه الديلمى عن ابن مسعود.

تتلقو الركبان)[١] وهم أهل البادية الذين يأتون بالبضاعة إلى أسـواق المدن فيقابلهم التجار ويأخذون منهم البضاعـة بـأى سـعر وإمـا أن يبيعوهم وإما أن يمنعوهم بأى طريقة وبأى كيفية حتى يتحكمـوا فـى السعر. نهى الإسلام عن ذلك وجعل الأمر فى الإسلام عرض وطلـب فإذا زاد المعروض قل السعر وإذا كان العرض فى يد فئة قليلة تحكموا فى السعر والإسلام يرفض ذلك.

ما لا يباح الاتجار فيه

كذلك جعل الإسلام للتجارة أمور محددة فنهى عن الاتجار فى كـل شئ حرمه الله. نهى عن التجارة فى الخنزير ونهى عن التجـارة فـى المخدرات ونهى عن التجارة فيما نراه اليوم كتربيـة الكـلاب وبيـع الكلاب. فقد نهى ﷺ عن ثمن الكلب لأنه لا يبيح الكلب إلا لمن بيتـه فى خلاء ويخشى السرقة أو يخشى الوحوش لكن لا يبيح الكلـب فـى داخل البيت الآمن، ولذا قال ﷺ : **(لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلبـا أو صورة)**[٢] فالبيت الذى فيه كلب بغير عذر والعذر أن يكون فى خـلاء ويخشى الضرر سواء كان من الوحوش أو من السرقة نـهى الإسـلام عن ذلك ويدخل فى ذلك ما استجد فى عصرنا كمن يتاجر فى عصرنـا

---

[١] رواه أحمد والبيهقى عن أبى هريرة.
[٢] رواه أبو داود والنسائى والحاكم عن علـى ورواه أحمـد والبخـارى ومسـلم والترمذى وابن ماجه عن أبى طلحة.

مثلا فى أفلام إباحية فتلك تجارة محرمة وغير شرعية. ومن يتاجر فى عصرنا الآن فى دسكات تسيئ إلى شبابنا وفتياتنا فهذه تجارة يمنعها الإسلام ومن يتاجر أيضا فى عصرنا فى أصباغ ومواد تغير هيئة الإنسان وتجعله يخدع الآخرين فتلك تجارة محرمة وأحرم هذه التجارات المعاصرة على الإطلاق التجارة فيما يقال فى وسائل الغيار الآدمية أى الذين يأتون بالآدميين ويقطعونهم ويتاجرون فى أعضائهم فتلك ألعن تجارة فى هذا العصر لقوله ﷺ : **(لزوال السموات السبع والأرضين السبع أهون عند الله عز وجل من قتل نفس مسلمة بغير حق)**[1] وهناك أمور كثيرة تدخل فى هذا الميدان كل هذه الميادين لمن يستثمر ماله بنفسه.

استثمار المال مع الغير

أما من يستثمر ماله مشاركة مع غيره فالمشاركة لها ضوابطها فى شرع الله وقد قال فيها ﷺ : **(أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما الآخر فإن خانا خرجت من بينهما)** [رواه أبو داود فى سننه عن أبى هريرة] فأباح الإسلام صور المشاركة التى منها أن يكون أحدهما بماله والآخر بجهده ويتفقون على هامش الربح أو مناصفته أو أقل أو أدنى ومنها أن يشتركان فى رأس المال بالمشاركة ومنها من يأخذ المال

---

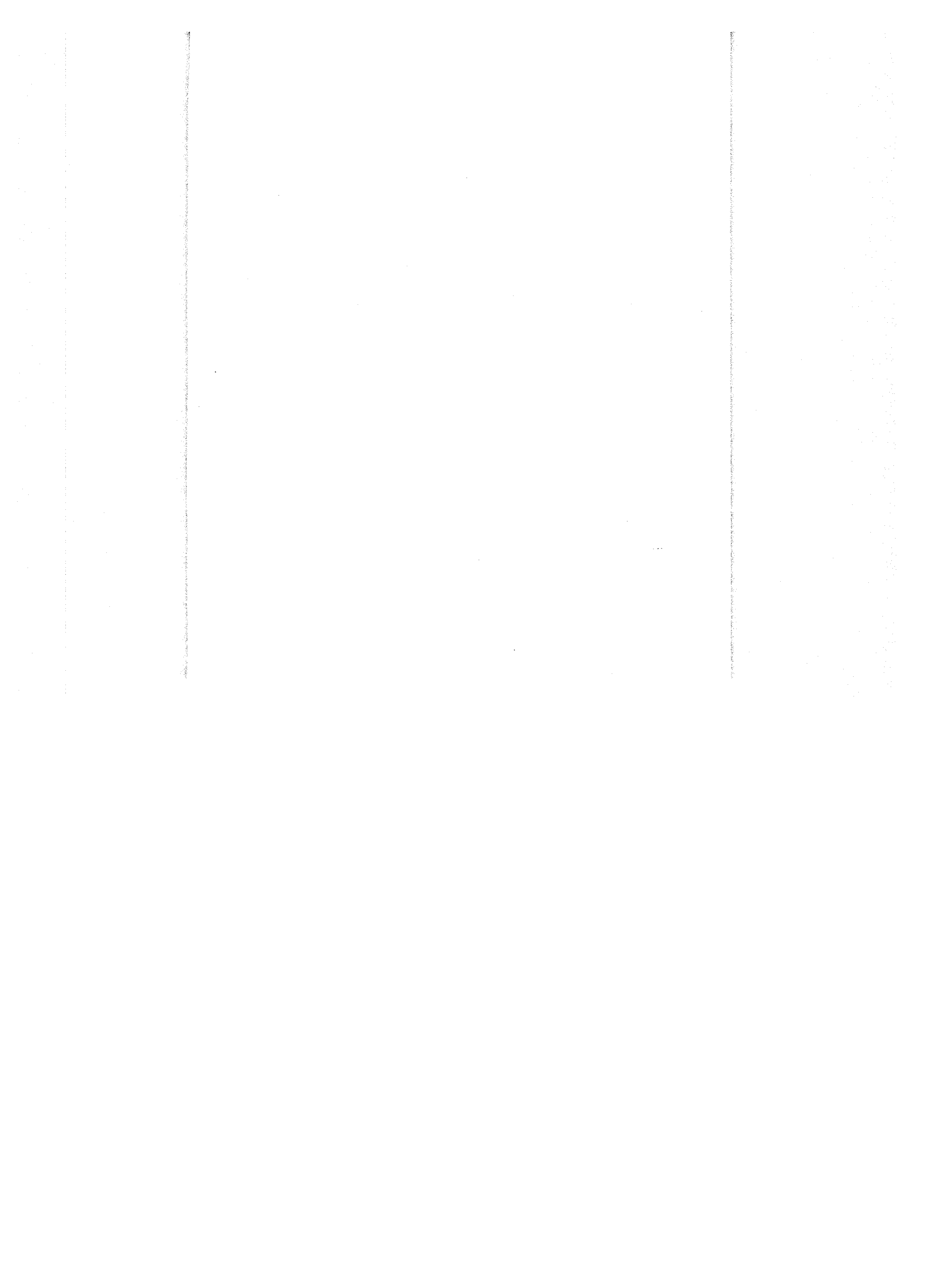
[1] رواه النسائى عن أبى بكرة.

ويقوم باستثمار هذا المال وهى ما تسمى بالوكالة كما تقوم به البنـــــوك والشركات والمصارف ولكنه وضع لها ضوابط إمـــا أن تكـــون عـــن طريق المضاربة وإما أن تكون عن طريق المرابحة وإما أن تكون عـن طريق من هذه الطرق الشرعية الإسلامية فالمضاربة أن يأخذ الإنســـان المال والآخر يستثمره ويقتسمان على ما يتفقان عليه من الربح وأيضـــا يشتركان فى الخسارة لأن الخسارة متوقعة والمرابحة أن يأخذ الإنســـان مالا فيتفق مع صاحب المال على أن يعطيه نسبة من الأرباح إذا وفـــق فى كسبه ويكون أيضا شريكه إذا حدث خسارة بينهما هـــذه التقنيـــات الإسلامية موجودة وكاملة فى فقه البيوع فى الإسلام والوقـــت يضيـــق عن شرحها بتوسع ونكتفى بهذا القدر وإن شاء الله نرجو الله عز وجـــل من شبابنا ألا يقتصروا على معلومات المحاضرات وأن يطلعوا علـــى ما فى المكتبة داخل الكلية أو الأسواق التى فيها الكتب التى تتحدث عـن الاقتصاد أو المحاسبة أو التجارة من منظور إسلامى لأننـــا مســـلمون ويجب أن نعلم نظرة ديننا نحو هذه الأمور.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل السادس
التكامل بين الزكاة والضرائب

- ميزانية الدولة الإسلامية الأولى.
- أسباب فرض الضرائب.
- الضوابط الشرعية لفرض الضرائب.
- دور الزكاة فى حل مشاكل المجتمع.
- توصيات الندوة.



التكامل بين الزكاة والضرائب(*)

فى البداية تحدث الدكتور حامد طلبه عميد الكلية عن الإطار العام للنظام الإسلامى فى مجال الضرائب والذى يعتمد أساساً على الزكاة التى تمثل الركن الثالث من أركان الإسلام الخمسة وأشار إلى أهداف كل من الزكاة والضرائب وقال أن أهداف الضرائب تتحقق من خلال القيام بوظائفها المختلفة المالية والاقتصادية والاجتماعية إلى جانب النواحى الإنسانية ويتضح ذلك من قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم** ﴾ [الآية: ٦٠، التوبة] وأكد على ضرورة الاستفادة من الأسس التى تقوم عليها الزكاة لتطوير النظام الضريبى حيث تغطى مجالات كثيرة لا يتضمنها النظام الضريبى علاوة على تحقيقها للعدالة كما أنها تطهر مال المزكى إضافة إلى أن معظم أوعية الزكاة تكون على صافى الدخل.

ثم تحدث الداعية الإسلامى فضيلة الشيخ فوزى محمد أبو زيد.. فأوضح بعض خصائص وسمات النظام الضريبى وكما أشار إلى الحكمة من فرض الزكاة فى التشريع الإسلامى ودورها فى تأسيس

(*) كانت هذه الندوة بكلية التجارة بينها بعنوان التكامل بين الزكاة والضرائب يوم السبت ١٨ صفر ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١/٥/١٢م.

الدولة فى عهد رسول الله ﷺ وفى عهد الخلفاء الراشدين وكيف ساعدت على نهضة وتقدم المجتمع الإسلامى فى مختلف المجالات ثم تحدث عن العدالة فى التوزيع لصالح خلق الله. ثم أشار إلى كيفية تحصيلها والتحذير لمن أراد التهرب من سدادها ثم تحدث عن الزكاة وقال : أنها لا تغنى عن الضريبة والضريبة لا تغنى عن فرض الزكاة لأنها حق الله للمسلم الفقير وإليكم الفقرات التى تحدث فيها فضيلته بالتفصيل فى هذه الندوة.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

السيد العميد، السادة الحضور.. أحييكم بتحية الإسلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لا أستطيع أن أعبر عن مدى سرورى بحضورى هذه الندوة التى نحن فى أمس الحاجة إليها جميعاً أفراداً وشعوباً وجماعات وحكومات فى هذا العصر الراهن وقد تفضل السيد العميد مشكوراً فتحدث وبيّن أنه لا وجه للمقارنة بين الزكاة والضرائب لأن الزكاة من الله عز وجل والضرائب يفرضها البشر وسلطات البشر ثم تحدث مشكوراً عن الجوانب التى فيها اتفاق بين الزكاة والضرائب فى تحقيق الأهداف الاقتصادية أو المالية أو الاجتماعية أو السياسية فهى كلها جوانب

تحاول الضرائب أن تغطى ما لم تغطيه الزكاة فيها ومــــن هنـــا فـــإن الأسئلة التى تدور فى أذهان كثير من الناس فى عصرنا وســأحاول أن أجيب عليها بعجل لأن موضوع الزكـــاة يحتـــاج إلـــى وقـــت طويـــل والمقارنة بين الزكاة والضرائب أو التكامل بينهما يحتاج إلـــى رســـائل فى الماجستير والدكتوراه لكل جانب من جوانبها وليست رسالة واحـــدة تستطيع أن تغطى هذا الموضوع لكن نريد أن نعالج ما يـــدور بذهـــن البعض يقول البعض هل الضرائب تعتبر شرعية وما مدى شـــرعيتها مع وجود الزكاة؟ هذا سؤال وسؤال آخر: هـــل تغنـــى الزكـــاة عـــن الضرائب؟ أو هل الضرائب تغنى عن الزكاة؟ أو كما يحلو للبعـــض أن يأتى بما خصم من وعائه الضريبى ويخصمه مما عليه مـــن زكـــاة لله ويقول حتى لا أدفع المال مرتين. ما وجه الصواب فى هـــذه الأســـئلة التى سقناها؟

ميزانية الدولة الإسلامية الأولى

أولا : الزكاة هى المصدر الأول الذى كان عليه تمويل الميزانيـــة الإسلامية فى العصر الأول فقد كانت الميزانية فى عصر رســـول الله ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين تعتمد على الزكاة أولا ثم الخراج وهو ما يفرض على الأراضى الزراعية والعشور وهو ما يسمى الجمـارك الآن التى تفرض على البضاعة المنقولة من وإلى الدولة الإســـلامية ومعـــه كان سهم الغنائم التى يغتنمونها من المعارك الحربية كانت هذه هى أهـم

البنود التى تقام عليها ميزانية الدولة الإسلامية فى هذا الوقت وكانت تعتمد فى تغطية ما تحتاج إليه بعد ذلك على جوانب البر عند أهل البر مثل جانب الصدقات وجانب الأوقاف الخيرية وجانب التبرعات وكلها من باب قول الله عز وجل : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾ [الآية: ٢، المائدة] فلم يكن هناك فى ذلك الوقت والزمن الفاضل حاجة إلى فرض الضريبة خاصة أن حوائج الأمة كانت قليلة حتى أن الزكاة بمفردها كانت تغطى كل حاجات الأمة فمثلاً فى عصر عمر بن عبدالعزيز وقد تولى الحكم لمدة عامين ونصف يعنى خطة نصف خمسية فى هذين العامين والنصف استطاع أن يغطى كل ما تحتاجه الأمة من مطالب وخدمات من بند الزكاة. فمشروع الزكاة كان يغطى كل حاجات الأمة لأنها كانت قليلة فى وقتها وكان له مصارف أخرى تعضده فى ميزانية الدولة والزكاة كانت تُجمع على هيئة مؤسسة أسسها رسول الله ﷺ وأقام فيها عمالاً يقومون بجمعها وكان يأمرهم بجمعها وتوزيعها فى المكان الذى يجمعونها فيه وفق الضوابط القرآنية الشرعية وتفسيرها فى المذكرة التفسيرية النبوية المحمدية وإذا فاض عنهم يرسلون الفائض إلى بيت المال فى عاصمة الدولة فى المدينة ليتولى خليفة المسلمين إنفاقه فى بنوده المحددة والثابتة وظل هذا النظام قائماً من بعده فى الدولة الإسلامية ولم يلغى فى مصرنا إلا فى عصر دولة المماليك عندما كان السلطان قلاوون المنصورى ملكاً على مصر فى عصره تكاتف الأغنياء وذهبوا إليه واستطاعوا إمالته وطلبوا

منه أن يمنع أخذ الزكاة عن طريق الدولة وينفقونـــها بأنفســهم لأنــها تقهرهم فأصدر قراراً بحل لجان الزكاة وإلغاء مؤسسة الزكاة.

أسباب فرض الضرائب

فالزكاة كانت تقوم بالواجب فى وقتها لكن لما نضبت الموارد ولــم يُعد هناك مغانم لأنه لم يعد هناك حروب وقلّ دخل الدولـــة ووجــدت أوقات عصيبة احتاجت من الدولة أموالاً تغطى بها نفقاتها الحربيـــة أو حروبها المتعددة مع الجهات الأجنبية نظر علماء المسلمين فى فــرض ضريبة غير الزكاة وأصلوا ذلك من كتاب الله عز وجل مـــن القــرآن الكريم ومن السنة النبوية ومن أقوال السلف الصـــالح مــن الصحابــة والتابعين وقد جمع وشرح هذه النظرية شرحاً وافياً الإمام ابــن حــزم الأندلسى فى كتابه المسمى (المُحلّى) وهذا لمن يريد أن يستزيد فى هــذا الموضوع من إخواننا طلاب الدراسات العليا فقد شرح نظرية الضريبــة شرحاً وافياً وبيّن أنها تكمل الزكاة وقال فيما قال : (الضريبة لا تغنـــى عن الزكاة والزكاة لا تغنى عن الضريبة فى وقت الحاجـــة وكلاهمـــا يكمل الآخر) واستند فى نصوصه إلى قوله تعالى ﴿ **ليــس الــبر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليــوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربـــى واليتامى والمساكين** ﴾ ثم بعد ذلك ذكرت الآية ﴿ **وأقام الصلاة وآتــى الزكاة** ﴾ [الآية: ١٧٧، البقرة] فكان إيتاء المال فى بداية الآيـــة غـــير

الزكاة يقول فيها سيدنا عمر ﷺ عندما حدثت له فى زمانـــه جائحـــة اجتاحت الناس يقول فيها : (لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخـذت من فضول أموال الأغنياء ما أُعطى به حاجة الفقراء) وكأن هذا حقـــاً للفقراء من أموال الأغنياء فى وقت الحاجة ويقول فيه الإمام على بـــن أبى طالب كرم الله وجهه : (إن الله جعل للفقراء ما يحتاجون إليه فـــى أموال الأغنياء فإذا احتاج الفقراء فإنما ذلك بزيادة التمتع فى الأمـــوال من الأغنياء) فجعل ذلك بمثابة فريضة واستندوا فى ذلك إلى قولـه ﷺ: **(إن فى المال حقاً سوى الزكاة)** هذا الحق هو حق الفقير والمسـكين إذا لم تكفه الزكاة هذه الزكاة فرضها العلماء المسلمون فى بعض الأوقـــات فمثلاً عندما تعرضت مصرنا لغزو المغول أو التتار جمـــع السـلطان قطز فى وقتها علماء الأمة ليشاورهم فى فرض ضريبة لتجهيز الجيـش فقالوا إن الإسلام يبيح لك ذلك بشرط ألا يكون فى بيت المال شـئ وألا يكون جندك عندهم ما يزيد عن حاجاتهم يعنى إبدأ بجندك وخذ مـــا زاد على حاجاتهم من الذهب والفضة والكراع والسلاح وغيره ثم افـــرض على الشعب ما شئت وعندما اعترض على أخذ ما عند الجند خوفاً مـن شوكتهم وقال افرض الضريبة والجند لهم عذرهم لأنـــهم سـيحاربون رفض إمام العلماء فى ذلك الوقت عز الدين بن عبدالسلام ذلـك ولمـــا أصر الملك على رأيه خرج مهاجراً إلى بلاد الشام فنصحه من حولـــه وقالوا له لو تركته يخرج لقامت ثورة عليك لا تستطيع القضاء عليـــها فأسرع إليه واسترضاه ثم بدأ يحصل الأموال من قادة الجند الزائدة عـن

حاجاتهم والذهب الزائد عن حُلىّ نسائهم والسلاح الفائض عن حاجاتهم ثم فرض بعد ذلك الضريبة.

وكذلك حدث ذلك مع السلطان بيبرس فى دمشق عندما جاءت المرة الثانية لغزوات التتار جمع فقهاء الشام ليفرض ضريبة على الناس لتجهيز الجيش فوافقوه فكتب عريضة وأمرهم أن يوقعوا عليها بالموافقة ثم قال لهم بعد أن وقعوا هل بقى عالم لم يحضر؟ قالوا : نعم بقى الشيخ محيى الدين النووى قال ائتونى به فأتاه فقال له وقع على هذه العريضة قال : لا أوقع عليها إلا إذا جردت إيمائك وأنا أعلم أنهن مئتين من الذهب الذى معهم وإذا جردت عبيدك وأنا أعلم أنهم ثمانمائة من الذهب الذى يحصلونه ويحرزونه قال : اخرج من بلدى قال سمعاً وطاعة فخرج إلى نوى فأراد بعد ذلك ان ينفذ الضريبة فقالوا له : لابد من استرضاءه فأرسل إليه يرجوه أن يرجع قال لا أرجع إلا إذا خرج بيبرس من دمشق فمات بيبرس بعد شهر وكان هذا هو الضابط.

الضوابط الشرعية لفرض الضرائب

فإن ديننا الإسلامى وضع له العلماء الضوابط الشرعية المقننة التى لا تحتاج إلى مزيد فكما أن الله عز وجل وضع للزكاة ضوابط ثابتة ومقننة تلائم كل عصر وكل زمان وكل إنسان وكل دخل فكذلك وضعوا للضرائب ضوابطها فالضريبة لكى يفرضها ولى الأمر فى الإسلام الحاكم أو من ينوب عنه شرطها الأول أن يكون دخل بيت

المال أو موارد الدولة لا تكفى الحاجات الضرورية التى تكون الدولــــة فى أمس الحاجة إليها وغنى عن التعريف أن الضرائب تقوم بالمصــالح العامة التى لا نستطيع أن نوجه إليها مصارف الزكـــاة مثــل : بنــاء المدارس وبناء الجامعات وشق الترع وعمل وسائل المواصـــلات مـــن مطارات وسكك حديدية كل هذه المصارف لا نستطيع أن نوجه إليـــها من بند مصارف الزكاة والذى يغطيها هو الضرائب وكذلك المجـــارى والكهرباء وكل الحاجات التى يطلقـــون عليــها البنيـــة الأساســية أو الحاجات الضرورية التى يتمتع بها جميع أبناء الشعب فإن الحاجة هنـــا للجميع فالكل يتعلم لا نفرق بين غنى وفقير والكــل يســتخدم الطـــرق والكل يستخدم المطارات فهذه الأوعيـــة وهــذه المصـــارف تغطيـــها الضرائب فإذا كانت موارد الخزينة العامة لا تكفى لهذه المشـــروعات فلابد من وضع ضريبة لأننا لا نستغنى عـــن هــذه الأعمـــال وهــذه الضريبة شرطها الثانى.

أن يكون فيها عدالة فلا تطبق على فئة ويعفى منها فئة كمـــا هـــو شأن الزكاة فإن الزكاة يعفى منها من لم يبلغ ماله النصاب مـــهما كـــان شأنه أما الضرائب فقد يكون فيها بعض الإعفاءات فبعض الأموال فـــى البنوك لها إعفاء كشهادات الاستثمار وغيره لتشجيع الاســـتثمار لكـــن الزكاة ليس على من يملك نصابها إعفاء لأنـــها حـــق الله عـــز وجـــل فالضريبة فى شرع الإسلام تكون على جميع من يستطيعون دفعـــها لا نفرق بين مستطيع ثرى ومستطيع فقير ليس له من يدافع عنه.

الأمر الثالث : لابد أن تكون عن شورى أى لابد أن يقرها مندوبو الشعب وهم فى عصرنا مجلس الشعب حتى لا ينفرد أولوا الأمر بها لمصلحة خاصة وإنما نتأكد أن الضريبة فيها مصلحة عامة لجميع الشعب.

الأمر الرابع : أن تنفق هذه الضرائب ونتأكد من صرفها على الأمور العامة التى تعم وتهم جميع أفراد الشعب.

هذه هى الضوابط التى يُباح بها فرض الضرائب فى الإسلام وعلى هذا فالذى يخصم منه ضريبة لا نستطيع أن نفتيه بأن يخصم الضريبة مما عليه من الزكاة لأن الزكاة حق الفقراء وحق الله والضريبة حق المجتمع ومقابل الخدمات التى ينتفع بها فى مصنعه أو فى عمله أو فى شأنه، فالزكاة حق لابد من إخراجه وقد جزم الفقهاء بذلك ولا يمكن التحايل على ذلك هذا بالنسبة للزكاة والضرائب.

دور الزكاة فى حل مشاكل المجتمع

أما بالنسبة لكيفية التكامل بينهما فهذا عمل يحتاج أن نوصى به إلى مؤسسة أو مؤسسات على الأقل تكون فى كل محافظة مؤسسة جامعة تهتم بأمور الزكاة لأن الزكاة فى الوضع الحالى تعالج حالات فردية ولما كنا فى أمس الحاجة إلى أموالها لنهضة اجتماعية واقتصادية فنحتاج إلى تجميع الجهود ولا نتركها للأفراد فإن الزكاة إذا

جُمعت بطريقة جماعية نستطيع بها مثلاً أن نصلح الأراضى الزراعيـــة فى بلادنا ونقيم بها قرى لشبابنا ونملكهم لها ونيسر لهم عمــــلاً كريمـــاً نستطيع أن نحل بها أزمة البطالة فقد قال الإمام الشــــافعى رضـــى الله عنه فى كتابه (الأم) : خير مصرف للزكاة أن نعلم العاطلين حرفاً ثـــم نقيم لهم حانوتاً أى دكاناً ونحضر لهم أدوات صنعتهم ونتركهم يعملـــون ويتكسبون بعد ذلك وهذا لا يمكن أن يقوم به الافـــراد إلا إذا اجتمعـــوا وكانت هناك مؤسسات للزكاة تقوم بهذه الأعمال الخيرية العظيمة فـــإن الزكاة ومعها الأوقاف الخيرية هما اللتان كانتـــا يضطلعـــان بالنشـــاط الاجتماعى فى الأمة الإسلامية إلى العصر الحديث فكانت تُبنى منـــــهم الجامعات وكانت تؤسس منهم المستشفيات وكانت تقام منهم الملاجـــئ وكانت تقام منهم كل النواحى والمؤسسات الاجتماعيـــة ونحـــن نـــرى جميعاً الأزهر وهو مؤسسة علمية أسست على أموال الأوقاف وكـــانت تكفل هذه المؤسسة لطلابها كل ما يحتاجونه من إعاشة وإقامة وكتـــب ومصروف شخصى حتى يتخرجـــون مـــن الجامعـــة ولا يطالبونـــهم بتعويض فما أحوجنا فى نهضتنا الاقتصادية إلى هذه المؤسسة الزكوية.

أرجو الله عز وجل أن يجعل ذلك عن قريب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

توصيات الندوة

وانتهت هذه الندوة بعدة توصيات من أهمها :

١ - البدء فى اتخاذ الإجراءات اللازمة لإنشاء مؤسسة للزكاة تتولى جمع الزكاة وإنفاقها فى مجالاتها المختلفة.

٢ - اقتراح أن يكون من ضمن مجالات إنفاق الزكاة فى ضوء الأحكام الشرعية الإنفاق على الفقراء من طلاب العلم فى مختلف المراحل التعليمية للنهوض بالمستوى التعليمى للمجتمع الإسلامى وكذلك المساهمة فى مساعدة الشعوب الإسلامية التى تتعرض للعدوان والاضطهاد كالشعب الفلسطينى مع العمل على إقامة المشروعات المختلفة من بعض أموال الزكاة وتمليكها لمستحقى الزكاة للمساهمة فى حل مشاكل البطالة فى المجتمع الإسلامى.

٣ - دراسة إصدار قانون للزكاة ينظم عملية تجميع الزكاة من الأموال المختلفة الخاضعة لها وتوجيه إنفاقها على مجالاتها المحددة لتساعد على النهوض والرقى بالمجتمع الإسلامى.

٤ - اهتمام وسائل الإعلام بتوعية أفراد المجتمع بأن سداد كل من الزكاة والضريبة يمثل واجباً دينياً علاوة على أنه واجب وطنى والإهمال فى ذلك يعنى ضعف الجوانب الدينية والوطنية للفرد المسلم.

٥ – التأكيد على رجال الأعمال وأصحاب المشروعات وغيرهم بضرورة الحرص على سداد كل من الزكاة والضرائب لأن الزكاة فرض دينى والضريبة واجب وطنى وقومى ولا يجوز الاستغناء بأحدهما عن الآخر لأن لكل منهما مجالاته وتخصصاته التى لا يمكن الاستغناء عنها.

٦ – التوصية بتدريس مادة محاسبة الزكاة فى كليات التجارة بمصر وذلك لزيادة الحرص على الاهتمام بهذا الركن من أركان الشريعة الإسلامية وتوفير الكفاءات التى تساعد باقى أفراد المجتمع على تسديد الزكاة المستحقة عليهم.

الفصل السابع

التربية والأخلاق جوهر التصوف الإسلامى

- معنى التصوف.
- حقيقة التصوف.
- الغاية من رسالة النبى.
- ثمرة الطاعات.
- تربية النبى لأصحابه.
- تربية النبى ﷺ للنساء.
- مجتمع المؤمنين.
- تقييم الأفراد فى الإسلام.
- الصوفية والدعوة إلى الإسلام.



التربية والأخلاق جوهر التصوف الإسلامى(*)

الحمد لله الذى وسعت أخلاقه وصفاته الأرض والسماوات وتناهت كمالاته عن الجهات والمحيطات وهو واحد فرد صمد ليس كمثله شـــئ وهو السميع البصير.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبـــد الله النبـــى الكريـــم والرسول القويم الذى فضله مولاه على كافة المرسلين بالخلق العظيـــم وقال فى شأنه وهو الحكيم العليم ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ [الآيـــة: ٤، القلم] صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وصحابته المباركين وكـــل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين آمين آمين يارب العالمين.

أما بعد..

فيا أيها الأخوة الأحباب.. بادئ ذى بدء نشـــكر الســـيدة الجليلـــة السيدة الدكتورة زهيرة عابدين على إتاحة هذه الفرصة الطيبة لنجتمـــع سويا على مائدة الله عز وجل وكتابه وسنة رسوله ﷺ .

ونسأل الله عز وجل جميعا أن يمن عليها بالشـــفاء العـــاجل مـــن جميع الآلام والأسقام وأن يبارك لها فى عمرها المديد ويعينـــها علـــى

(*) كانت هذه المحاضرة بمعهد روماتيزم القلب بمستشفى د./ زهيرة عابدين بالدقى بتاريخ ٢٤ من محرم ١٤٢٢هـــ الموافق ٢٠٠١/٤/١٨م بعنوان التصوف فـــى الإسلام.

رسالة العطاء بلا حدود حتى تكون دائماً وأبداً ممن قال فيـــــهم النبـــى الكريم ﷺ **(خيركم من طال عمره وحسن عمله).**

ندوتنا اليوم عنوانها التربية والأخلاق جوهر التصوف الإسلامى.

معنى التصوف

والتصوف فى أعلى معانيه هو العمل بأحكام شرع الله والاقتـــداء بسنة رسول الله ﷺ فى هذه الحياة طمعاً ورغبة فيما عند الله عز وجـل يوم لقياه فالشريعة تدعونا إلى العمل والتصوف هو التطبيق الفعلى لـهذا العمل فهو جوهر الدين وحقيقة اليقين لأنه لا حياة لمبادئ ومُثل بغـــير عمل إن لم تترجم المبادئ والمثل إلى أعمال فهى إلى زوال لكن الـــذى يكتب لها البقاء والخلود فى عالم الدنيا والارتقاء هو التطبيـــق الفعلـــى على نهج المرسلين والأنبياء والتطبيق العملى للصوفية ليس فى ميـــدان العبادات فقد ظن أقوام أن التصوف هو أن يخلو المرء بنفســـه ويتعبـــد لربه عز وجل فيقوم الليل ويصوم النهار ويواصل تلاوة القرآن ويذكـــر الله عز وجل فى الصباح وفى المساء ويقضى ليله ونهاره كله فى ذكـــر ربه، إذا كان الإنسان على هذه الشاكلة لا نسميه صوفياً وإنما نســـميه عابداً فالعابد هو الذى اشتغل بعبادة ربه عز وجل وأخذته العبادة أحيانـاً عن أخص شئون الحياة فربما لا يكون عنـــده وقـــت لطلـــب الأرزاق وربما يضيق وقت عبادته عن الزواج أو رعاية الأولاد أو النظر فـــى

أمور المجتمعات وهذا ليس كمال ولذلك ليس هو المثل الأعلى فى ديننا القويم ومنهج رسولنا الكريم ﷺ .

حقيقة التصوف

وإنما التصوف فى حقيقته أن يعطى المرء لكل ذى حق حقـــه ولا يهضم حقاً لأصحاب الحقوق مميزاً به حقاً آخر على ســـائر الحقــوق فيعطى لله عز وجل حقه فى توحيده وفى طاعتـــه وعبادتـــه علـــى ألا يقصر فى حق زوجه أو أولاده وألا يتوانى فى حق أفراد مجتمعه وإنما يعطى للجميع حقوقهم ويقوم لهم أجمعين بموازيـــن الشـــريعة الغـــراء وبسنة النبى ﷺ الواضحة الزهراء وهذا هو الفرد الذى يبغيه الإســـلام ويطلبه ويسعى إلى إيجاده نبى الإسلام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

الغاية من رسالة النبى

فإن رسالة النبى ﷺ فى لبّها بينها فى كلمات معدودات قال فيـــها ﷺ : **(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)**[1] فجعل الغاية مـــن رســالته والهدف السامى من شريعته هو إظهار مكارم الأخـــلاق أى الأخـــلاق التى سارت مُثلاً ومبادئ عالية وأخلاقاً فى عالم الناس راقيـــة يســـعى الناس جميعاً إلى روضاتها الدانية وهذه الرسالة تظهر فى بنـــاء الفـــرد فإن ديننا الإسلامى يسعى فى كل أحواله القرآنية وكل سنن الحبيـب ﷺ

[1] رواه البيهقى عن أبى هريرة.

النبوية إلى بناء إنسان على أخلاق كريمة أشـــار إليـــها مـــرارا فـــى نصوص القرآن وأثنى على أهلها،من ذلك على سبيل المثال قـــول رب العزة جل شأنه : ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونـــا وإذا خاطبهم الجـــاهلون قالوا سلاما والذين يبيتـــون لربـــهم ســـجدا وقياما** ﴾ [الآيتان: ٦٣، ٦٤، الفرقان] فإذا نظرنا فى هذه الآية نظـــرة متأنية واعية وهى وصف كريم لعباد الرحمن الذين تخلقـــوا بـــأخلاق القرآن والذى أشارت إليه السيدة عائشة رضى الله عنها حيـــن ســـألها سائل عن أخلاق رسول الله ﷺ فقـــالت لـــه مجيبـــة : **(كـــان خلقـــه القـــرآن)**[٢] أخلاق القـــرآن فى آيات الفـــرقان والتى ذكرناها وبدءهـــا ﴿ **وعباد الرحمن** ﴾ تبدأ أولا بالأخلاق ثم تثنى بالعبادات فهى تصـــف عباد الرحمن بأنهم يمشون على الأرض هونا أى سيمتهم فـــى مشـــيهم فى حياتهم التواضع وعدم الزهو والخيلاء لأنهم عملوا بنصيحة لقمـــان الحكيم لابنه ﴿ **ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختـــال فخور** ﴾ [الآية: ١٨، لقمان] يمشون متواضعين يمشون بيـــن النـــاس يعرفون حقيقة أنفسهم فلا يستهويهم البطر ولا الزهو بالنعم ولا تـــأخذهم الخيلاء وإنما يتأدبون بأدب القرآن فيعلمون أن النعم كلها سببها توفيـــق الله ومعونة الله فيردون الأمر لله ويقولون كما قال الله ﴿ **ما أصابك من حسنة فمن الله** ﴾ [الآية: ٧٩، النساء] الذين يمشون على الأرض هونا

---

[٢] رواه أحمد عن عائشة ومسلم وأبو داود وابن عساكر.

ويتحملون أذية الخلـــق، ﴿ **وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا ســـلاماً** ﴾ لا يردون عليهم الكيل كيلين أو الصاع صاعين وإنما دأبهم (**فمـــن عفـــا وأصلح فأجره على الله** ﴾ [الآية: ٤٠، الشورى] وهديهم فى أخلاقـــهم مع أحبابهم وجيرانهم وزملائهم وأهل مجتمعهم ﴿ **ولا تستوى الحســنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عـــداوة كأنـــه ولى حميم** ﴾ [الآية: ٣٤، فصلت].

ثمرة الطاعات

فإذا بلغوا هذه المكارم لم يغتروا فى أنفسهم لمعرفتهم بأن الفضـــل فضل الله والتوفيق فى كل عمل إنما هو لله ومـــن الله وأحســنوا فـــى معاملة إخوانهم فتعالوا عن التشبه بهم فى سفاسف الأخلاق وفى ســـيئ المعاملات فكانوا بعد ذلك أهلاً لأن يخصهم الله عـــز وجـــل بشـــريف العبادات ﴿ **والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً** ﴾ [الآية: ٦٤، الفرقان] وهذا ما تؤكده السنة فقد قيل : **(يا رسول الله إن فلانـــة تقـــوم الليـــل وتصوم النهار ولكنها تؤذى جيرانها فقال ﷺ لا خير فيها هـــى فـــى النار)** مع أنها أطاعت ربها إلا أنها لم تصل إلى ثمرة الطاعـــة وهـــى إحسانها إلى بنى جنسها وأهل مجتمعها فإن طاعـــة الله المســـتقيمة إذا كانت قويمة كانت ثمرتها ونتيجتها أخلاق مســـتقيمة وأحـــوال قويمـــة تظهر فى سلوكيات الطائعين والقانتين والعابدين والذاكرين والحـــامدين لله عز وجل ولذلك قال رب العزة عز شأنه مبيناً ومشيراً إلـــى بعـــض

حكم الصلاة وهى أعظم العبادات الإسلامية : ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ [الآية: ٤٥، العنكبوت] ويبين هذه الآية النبى ﷺ فى حديثه فيقول : **(من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له)**[١] ويبين الله عز وجل الهدف من الصيام فيقول جل شأنه ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ [الآية: ١٨٣، البقرة] ويوضح هذه التقوى وخصوصيتها النبى ﷺ فيقول : **(الصوم جُنّة** ــ أى وقاية ــ **فإذا كان يوم صيام أحدكم فلا يرفث ولا يسب ولا يسخط فإن أحد سابه أو شاتمه فليقل اللهم إنى امرئ صائم. اللهم إنى امرئ صائم)**[٢] ويبين الله عز وجل كذلك هدفاً سامياً من أهداف فريضة الحج مطالباً عبادة المؤمنين بالتمسك به عند أداء فريضة الحج فقال جل شأنه ﴿ **فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج** ﴾ [الآية: ١٩٧، البقرة] وكلها أخلاق نهى عنها الكريم الخلاق فالأخلاق هى لبُّ وجوهر العبادات الإسلامية بل هى الثمرة للمجتمع وللمحيطين بالإنسان الذين يرون فيه حُسن تدينه وجمال طاعته وتأدبه بآداب الله عز وجل.

---

[١] رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس.

[٢] رواه البخارى ومسلم وأحمد والبيهقى والنسائى عن أبى هريرة.

تربية النبى لأصحابه

من هنا كان حرص النبى ﷺ على تربية أصحابه علـــى مكـــارم الأخلاق وعلى شريف الخصال وعلى عزيز الطباع حتى يكونوا فـــى هديهم وفى سمتهم وفى سلوكهم صورة طيبة لما يدعو إليه هذا الديـــن وكان يتابع أصحابه على هذا النهج القويم وإليكم الإشارة بمثال واحـــد اكتفى به فى هذا المقال خوفا من الإطالة فهذا صديقه وصفيه أبو بكـــر كيف كان يربيه على مكارم الأخلاق ويتابعه لـــيزكى نفســـه وتتطبـــع روحه عليها فى كل وقت وحين كان جالسا فى مجلســـه الشـــريف ﷺ وجاء رجل أعرابى وأخذ يسب أبى بكر الصديق رضى الله عنه وهـــو صامت لا ينطق فلما أكثر الرجل وتألم أبو بكر هم بـــأن يـــرد عليـــه إساءته فما كان من النبى ﷺ إلا أن قام من المجلس فأسرع إليه أبـــو بكر رضى الله عنه وأرضاه وقال : يا رسول الله لقد رأيت مـــا رأيـــت وما فعل فقال : **(يا أبا بكر لقد كانت الملائكة ترد عنك فلما هممـــت أن ترد عن نفسك ذهبت الملائكة وجاءت الشياطين ولا أجلس فى مجلـــس فيه شيطان)** بل إنه أكثر من ذلك لما خرج مـــع أصحابـــه فـــى عـــام الحديبية ناويا العمرة إلى بيت الله الحرام وجعل أبو بكر ما يحتاج إليـــه هو ورسول الله ﷺ على جمل وكلف عبدا من عبيده بهذا الجمل وحـــده حرصا على ما فيه من طعام وشراب وكساء وضروريات يحتاجونـــها هو والنبى ﷺ ففعل الغلام وفى أثناء السير ضاع منه الجمل وعندمـــا

نزلوا فى إحدى المنازل وطلب أبو بكر من الغلام شيئا من الطعام يتبلغ به هو والنبى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام علم أنه ضـــاع منـــه ولا أمل له فى الحصول عليه فأخذ يسبه ويضربه وإذا بالرسول ﷺ يمـــــر به ويقول : **يا أبا بكر أصديقين ولعانين لا يكون ذلك أبدا؟** يعنى أنـــت فى مقام الصديقية وهو أعظم مقام بعد مقام النبـــوة إذن لا تســب ولا تلعن فإن هذا لا يليق بأخلاق الصديقين الذين أنعم الله عليهم من النبييـن والصديقين والشهداء والصالحين بل إنه طلب منه ﷺ مقاما أعظم مـــن ذاك لينال منزلة أعظم عند الكريم الخلاق فقال : **(يا أبا بكر لا تســـأل الناس شيئا)** يعنى لا تسأل إلا الله عز وجل فكـــان رضـــى الله عنـــه يركب أحيانا فى أسفاره فيسقط حبل ناقته فينزل ويأخذه بيده ثم يعـــاود الركوب وكان ذلك وهو خليفة للمسلمين فقالوا له يا خليفة رسول الله إنا نكفيك هذا قال : لقد علمت أنكم تكفونني ولكن حبيبى أوصانى وقـــال لا تسأل الناس شيئا هكذا كانت تربية النبى ﷺ لأصحابه علـــى مكـــارم الأخلاق وشملت هذه التربية الرجـــال والنســـاء والصبيـــان والغلمـــان ضربنا مثلا للرجال.

تربية النبى ﷺ للنساء

ونضرب مثلا للنساء فقد ذكرت عائشة رضى الله عنها وهى أعـز زوجاته زوجته صفية بنت حيى بن أخطب وقالت فى شـــأنها : (إنـــها قصيرة) وكان وصفا صادقا لأنها فعلا كانت قصيرة فى الطـــول لكـــن

النبى المعلم الأول ﷺ قال لها : **(لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته)**[1] أى لكدرته أى لصيرته من الصفو عكرا يريد منها ألا تعاود هذا القول وألا تصف أختها فى الإسلام بمثل هذه الصفة ليتعود لسانها على العفة الدائمة عملا بقول الله فيمن آمنوا بالله ﴿ **وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد** ﴾ [الآية: ٢٤، الحج] وكذلك أدب النبى ﷺ أصحابه جميعا حتى كانوا كما يقول : **(كونوا كالشامة بين الناس)**[2].

مجتمع المؤمنين

بمثل هذه التربية الإيمانية جهزهم النبى الكريم فكان الرجل منهم تجده رجلا فى كلمته صادقا فى وعده وأمانته شهما وذو مروءة فى معاملته لا يستبيح لنفسه أن ينكث العهد حتى مع الأعداء ولا يسمح لنفسه أن يخون حتى ولو كان مع الكافرين لأن الله قال للنبى الأمين حتى فى حالة الحرب ﴿ **فانبذ إليهم على سواء** ﴾ يعنى اخرج إليهم للحرب بطريقة واضحة ﴿ **إن الله لا يحب الخائنين** ﴾ [الآية: ٥٨، الأنفال] وعرفانا بهذه التربية وإيمانا بها وحرصا عليها كان مجتمع المؤمنين الصادقين أجمعين فى عهود الخلفاء الراشدين وفى العصور الزاهرة فى مبدأ الإسلام ومن تبعه إلى يوم الدين فقد ورد أن رجلا قتل

---

[1] رواه أبو داود عن عائشة.

[2] رواه الحاكم عن أنس وأحمد والترمذى.

رجلا فى خلافة عمر بن الخطاب واعترف بجريمته والاعتراف سيد الأدلة ولما قدم للقتل طلب من عمر أن يمهله إلى أيام وقال يا أمير المؤمنين إن لى مالا لا يعلمه أحد غيرى ولى صبية صغارا إذا تركتهم ولم أدلهم عليه ضاعوا فأمهلنى حتى أذهب إليهم وأدلهم عليه ثم أرجع مرة ثانية فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومن يضمنك؟ فتفرس الرجل يعنى نظر فى وجوه القوم ثم ألتفت إلى أبى ذر رضى الله عنه وقال : هذا الرجل يضمننى فقال عمر موجها الخطاب إلى أبى ذر هل تضمنه؟ قال : نعم. قال: على أنه إذا لم يعد تقتل مكانه؟ قال على إنه إذا لم يعد أقتل مكانه فقال : كم يكفيك يا رجل؟ قال: ثلاثة أيام ومرت الأيام الثلاثة وفى اليوم الثالث اجتمعوا قبل مغيب الشمس بعد صلاة العصر ينتظرون، وأشفق القوم على مصير أبى ذر لأن الرجل لم يحضر وبينما هم كذلك إذا بهم يرون أسودة من بعيد يعنى شيئا أسود يتحرك من بعيد فقالوا انتظروا لعله يكون ذاك الرجل وفعلا كان الرجل وكان يجد فى المسير ليوفى بوعده فتعجب القوم وقالوا له : ما الذى جعلك تأتى بعد أن نجوت من القتل ؟ فقال لهم منبها ومبينا لحقيقة التربية الإسلامية خوفا من أن يضيع الوفاء بين الناس فقال عمر لأبى ذر هل كنت تعرفه قبل ذلك؟ قال : لا. قال: لم ضمنته ولم تكن تعرفه؟ قال: حتى لا تضيع المروءة بين الناس. فقال أهل القتيل: عفونا عنه حتى لا يضيع العفو بين الناس.

تقييم الأفراد فى الإسلام

هذه الأخلاق الكريمة كانت موضع نظرهم وكانت هى سر تقويمهم فلم يكونوا يقومون الرجال بالمال أو بالشهادات أو بالوجاهة وإنما يقومونهم بما تمسكوا به من أهداب الفضيلة والأخلاق الكريمة وقد ضرب عمر رضى الله عنه مثلا عظيما فى ذلك لصحبه فأخذهم يوما إلى بيت المال بعد أن قام بتوزيع كل ما فيه من خيرات وأمر خازن بيت المال أن يكنسه ويرشه ثم يعلمه ليذهب إليه ويصلى فيه ركعتين لله عز وجل فذهب ومعه بضعة نفر من خاصة أصحاب رسول الله ﷺ ولما دخلوا وصلوا جميعا فى موضعه ركعتين لله قال رضى الله عنه لهم : تمنوا؟ يعنى ليتمنى كل رجل منكم ما يعمر به بيت المال فقال رجل : أتمنى أن يملأ الله هذا البيت سلاحا وخيولا وعتادا نجهز به جيوش المسلمين لتحارب الكفار والمشركين وقال آخر: أتمنى أن يملأ الله عز وجل هذا المكان دقيقا وسمنا وطعاما وخيرا نمير به فقراء المسلمين وقال الثالث أتمنى أن يملأ الله هذا المكان ذهبا وفضة ليغنى فقراء المسلمين عن مذلة السؤال ثم فطن سيدنا عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه وقال وماذا تتمنى أنت يا أمير المؤمنين؟ فقال رضى الله عنه أتمنى أن يملأ الله هذا المكان رجالا كبلال والمقداد وصهيب وسلمان الفارسى فإن كل ما ذكرتموه عرض فإن يأتى ويذهب لكن هؤلاء الرجال الرجل منهم خير من الدنيا كلها من أولها إلى آخرها بما فيها ومن فيها بخلقه ومثله وقيمه.

الصوفية والدعوة إلى الإسلام

أدرك رجال الصوفية فى كل عصر هذه الحقيقة الإيمانية فجعلوهـا جوهر التصوف فقال فى ذلك الإمام أحمد البـــدوى رضـــى الله عنـــه التصوف هو الخلق فمن زاد عليك فى الخلق فقد زاد عليك فى الصفاء. فجعلوا جوهر ولب التصوف هو الوصول إلى مكارم الأخلاق ولذلـــك لو نظرنا نظرة عابرة إلى البلدان غير العربية التى فتحـــت ووصلـت إليها الدعوة الإسلامية نجد أن أغلب هذه البلدان كإندونيســيا والملايــو (ماليزيا الآن) والفلبين ودول أفريقيا كلها وصلتها الدعوة عــن طريــق التجار والصوفية الصادقين بحسن أخلاقهم وســمتهم وهديــهم جذبــوا هؤلاء القوم إلى هذا الدين. لم يفتحوها بسيف أو رمح ولا طـــائرة ولا دبابة ولا مدفع وإنما فتحوها بحسن أخلاقهم وجمال معاملاتــهم آثــروا هؤلاء القوم وأسروهم بحسن أخلاقهم وجذبوهم إلى دين الله بـــالأخلاق الكريمة العالية التى كانوا عليها فى كل أحوالهم وهذا الدين كما قال فيه بعض من لم يؤمنوا من العرب قال فيه خطيب العرب أكثم بن صيفـــى: (إن ما جاء به محمد لو لم يكن دينا لكان فى أخلاق الناس حسنا) لأنـــه يدعو إلى مكارم الأخلاق. فالإسلام كله جملة وتفصيلا يدعو إلى مكارم الأخلاق لكن المسلم الذى يستطيع أن يأخذ نفسه بتعاليم الإسلام ويجملها ظاهرا وباطنا بمكارم الأخلاق هذا هو الذى نسميه صوفى وهـــذا هـــو الذى يقول فيه الله ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليــه**

فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديـــلا ﴾ [الآيـــة: ٢٣، الأحزاب] فإن الناس فى كل زمان ومكان يشدهم إلـــى الله أنـــاس أخلصوا ابتغاء وجه الله لا يغرهم المال ولا تلفتـــهم زخـــارف الدنيـــا وزهرتها فتجعلهم يغيرون أخلاقهم أو يتملصون من طباعهم وهديـــهم فيشدهم ذلك إلى الدين شدا قويا لماذا يتمسك هؤلاء بهذه الأخلاق رغـــم أنهم قد يكونوا فقراء وقد يكونوا فى أمس الحاجة إلـــى متـــع الحيـــاة وطيباتها وعندما يعلمون أن الذى دعاهم إلى ذلك هو إيمانهم ومتابعتـــهم لنبيهم فإن ذلك يشدهم إلى الدين شدا قويا. قال ﷺ : **(إن أثقـــل شـــئ تجدونه فى موازينكم يوم القيامة خلق حسن)**[1] وبين المنزلة العاليـــة لمن تكون يوم الدين. فقال ﷺ : **(إن أقربكم منى مجلسا وأدناكم منـــى منزلة يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الذين يألفون ويؤلفون)**[2].

أسأل الله عز وجل أن ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا مـــا ينفعنـــا وأن يزيدنا فقها فى الدين وتمسكا بهدى سيد المرسلين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

[1] رواه أحمد وابن حبان والترمذى عن أبى الدرداء.

[2] رواه ابن عساكر والبزار عن أبى هريرة والطبرانى فى الكبير عن أبى أمامة.



الفهرس

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

المؤلف فى سطور

فوزى محمد أبو زيد

تاريخ ومحل الميلاد : ١٨/١٠/١٩٤٨م الجميزة مركز السنطة محافظة الغربية.

المؤهــــل : ليسانس كلية دار العلوم ١٩٧٠م.

العمـــــل : مدير إدارة ــ بمديرية طنطا التعليمية.

محل الإقامة : الجميزة ــ غربية.

النشـــاط :

- يعمل رئيساً للجمعية العامة للدعوة إلـــى الله بجمهوريـــة مصـــر العربية والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى: ٧٤ شـــارع ١٠٥ حدائق المعادى بالقاهرة ولها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية.
- يتجول فى جميع أنحاء الجمهورية لنشر الدعوة الإسلامية وإحيـــاء المُثل والأخلاق الإيمانية بالحكمة والموعظة الحسنة بالإضافة إلـــى الكتابات الهادفة إلى إعادة المجد الإسلامى.

دعــوته :

- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين والعمل على جمـــع الصف الإسلامى وإحياء روح الاخوة الإسلامية والتخلـــص مـــن الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس.

- يحرص على تربية أحبابه على التربية الروحيـــة الصافيـــة بعـــد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.
- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيـــدة عـــن روح الدين وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن وعمل رســـول الله ﷺ وأصحابه الكرام.

تطلب مطبوعات الدار
من الأماكن التالية

١ – دار الإيمان والحياة : ١١٤ شارع ١٠٥ حدائق المعـــادى – ت: ٥٢٥٢١٤٠ القاهرة.

٢ – الزقازيق : حى السلام ش عمرو بن العاص – مســجد جمعيــة الدعوة إلى الله.

٣ – ديرب نجم : جمعية الدعوة إلى الله – خلــف مدرســة الثانويــة للبنات.

٤ – الجميزة – غربية : دار الصفا – ت: ٤٩٤٥١٩ طنطا.

٥ – بنها : جمعية الدعوة إلى الله – المنشية – ٧ شارع شريف باشــا متفرع من شارع وهبة.

٦ – محافظة المنيا – مغاغة : جمعية آل العزائم "مسجد آل العزائم".

٧ – محافظة قنا – العديسات قبلى – نجع علوان : جمعية الدعوة إلــى الله.

٨ – محافظة الإسماعيلية – سرابيوم – عزبــة القراقــرة – جمعيــة الدعوة إلى الله.

٩ – الدراسة : دار جوامع الكلم.

١٠– مكتبات القاهرة.

١١– دار الشعب : شارع القصر العينى.

١٢– مكتبة تاج بداير سيدى أحمد البدوى بطنطا.